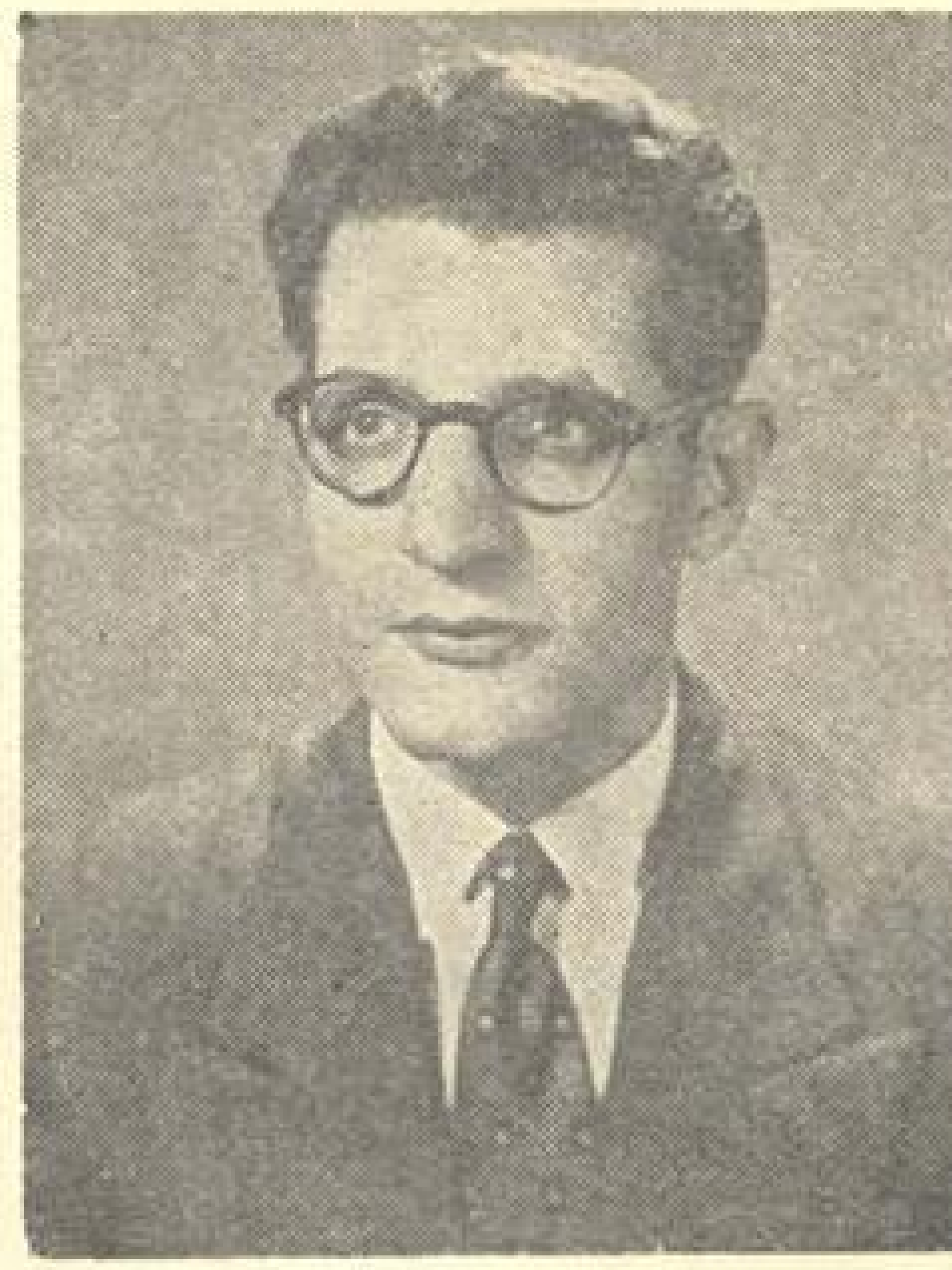


الدكتور محمد رجب البيومي

مقدمة ومقدمة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

قارىء « الاديب » صديقي ، أفكر كثيرا فيما اقدمه اليه، ولا اكاد اتركه في بعض الشهور الا مضطرا ومن حقه علي ان اروي له بعض ما أشهد في الحقل الادبي من غرائب ، او بعض ما اقرأ من نوادر ، وقد اجتمع لدي مما شهدت وما قرات معا ما يصلح ان يكون موضع الحديث النافع هذا الشهر فلابادر بتقديمه دون امهال .

أعرف زميلا أديبا يكتب كثيرا ، ويقرأ كثيرا ، ولكنه يكتب اضعاف ما يقرأ ، لذلك تأتي آثاره هشة خفيفة عليها طابع الارتجال ، وليس هو من البلاهة بحيث يحتاج الى تنبيهه وتوجيهه فهو - في رأيي الخاص - يعرف أخطار السرعة العاجلة في دنيا الانتاج الفني ، ولكنه يؤثر ان يميل اليها بعيدا عن الاتئاد ، لامور تحبب اليه أن يتداول ذكره وان يرق صداه .

جاءني ذات عشية . ومعه اوراق مطبوعة ، تضم كتابا ينقصه التجليد ، وسألني ان اقرأ ما بيديه لاكتب له مقدمة وافية ، وقد دهشت بادىء ذي بدء لما طلب ، فلست بالكاتب الجهير الذي يضع المقدمات ، ولا أظنه فيما بينه وبين نفسه يراني أهلا لان اقدم كتابا يؤلفه ، ولكن الكتاب بين يديه ، وصوته يرن في سمعي وجها لوجه ، وليس في ملامحه ما يوحي بالفكاهة والعبث .

اخذت الاوراق في تؤدة فعرفت من النظرة الاولى انها تتحدث عن حياة شاعر اندلسي كثر عنه الحديث ، فقلت في نفسي ماذا عسى ان يقول صاحبي في شاعره ؟ وليس من دابه التؤدة الدافعة على الدرس الجيد ، والاستنباط السديد ، انه سيعمد الى كتاب او كتابين او ثلاثة الفت عن الشاعر فيقرأها في اسبوع ، ليخرج منها بكتاب رابع يقل كثيرا عن اقل هذه الثلاثة ، وليس الذنب مما يعود الى قصور لديه ، ولكنه ذنب العجلة الطائرة التي تركبه حماها الساخنة فلا تدعه يرتاح الى تحليل وئيد ، ماذا عسى ان يقول صاحبي في كتاب سوده دون تحقيق ومعاناة ثم ماذا عسى ان اقول في مقدمته ؟ من يدري لعل الرجل خالف نهجه فاطمأن وصدر في كتابه هذا عن روية ؟ ان من حقه علي ان اقرأ ، ولن استطيع النكول عن كتابة مقدمته وقد شرفني - في اعتقاده - بكتابتها ، ويا له من تشريف !

اخذت الكتاب ، وتركني صاحبي لافرغ لشأني وشأنه ، فلم اكد اقطع الصفحات الاولى حتى تأكد ما ظننت اذ أن المؤلف قد لزم الجمع التقليدي السريع ، فكتب كثيرا كثيرا ، ولكنه لم يقل شيئا يحسب له ، وكأنه ظن انه يقوم بشرح مدرسي لكتاب مقرر في حجرة من حجرات الدرس فحصر جهده في قراءة الكتاب ليعيد التعبير عنه لتلاميذه البادئين ، بل ان مدرس الفصل قد يلم بنقد ما لما يشرح من حقائق الكتاب المقرر اذا وجد ما يدعو الى النقد ، اما صاحبي ، فقد كرر واعاد ، وسود الصفحات في غير غناء !

سيطر علي هذا الشعور منذ الصفحات الاولى من الكتاب واخذت براهينه تتوالى بتتابع القراءة حتى فرغت من عبء قراءته لاستقبل عبء الحديث عنه ، ويا له من عبء مرهق شاق لم اجد بدا من حمله ، فاستعنت بالله وخططت مقدمة توضح الموضوع للكتاب وتعرض ابوابه ، وكأني فرغت من مهمة شاقة حين اذن الله ففرغت من كتابتها ، وجاء صاحبي ليقرأ في عجلة ما كتبت ، فراعني ان يقطب ويعبس ، وان يصيح بي غاضبا منددا بما ظنه تهاونا في حقه وانتقاصا لجهده ، ثم علا صوته حين قال : ان فلانا الاديب الذائع قد وعده بكتابة مقدمة شافية تشرف الكتاب ، وهو مضطر الى ترك ما سودت من هراء ، والخطأ خطؤه اذ نزل بالكتاب عن مستواه حين ترك تقديمه لمن يزن الحديث بالدانق والقيراط .

مضت أيام ، وظهر الكتاب للناس فسارعت لقراءة ما خط الاديب الذائع في المقدمة فلم أجد غير مقدمة جديدة كتبها المؤلف نفسه لكتابه ، فحمدت الله في نفسي أن عجز صاحبي عن ان يحمل احدا على تسطير زيف يجامل ، ثم اندفعت لقراءة ما كتب ، فاذا استعلاء مفرط للناس ، وانتقاص كريه لسابقيه ممن بحثوا الموضوع ، وادعاء عريض لجهد بذل في تقرير حقائق جديدة ، واكتشاف آراء سديدة ، وتفصيل مجمل غامض ، مع ان

البحث – علم الله – لا يخرج عن بسط سقيم لترجمة ادبية في مثل كتاب « الوسيط » تشفع باستشهاد ممل يكاد ينقل ديوان الشاعر دون تحليل هادف أو تهد بصير!

وقد قرات ما كتب صاحبي وانا أعجب بشجاعته الخارقة حين واجه الدارسين برأيه في نفسه متطاولا مفترا ، وقد ظن ان الناس يعيشون في مثل قرى النمل لا يقرءون ولا يبصرون ، فله الحق أن يصيح في وجوههم بما يشاء !

هذا مثال شهدته عن عيان ، وقد وعدت القارىء في مطلع هذا المقال ان احدثه عن بعض ما شهدت وبعض ما قرات ، فلانتقل معه الى الشق الثاني فاعرض مثلا رائعا مما قرات يقف على النقيض مما وقع موقع التجربة الشخصية مني ! وسيكون بلسما شافيا لجراح الذين يتألمون من الادعاء الزائف والتبجح العريض حين يعلمون ان الحياة لا تزال عامرة بأفاضل أمناء من ذوي الكمال الخلقي ، والسمو النفسي ، والتواضع العلمي ، وان كانوا من القلة بحيث يشغب عليهم أصحاب الضجيج المفتعل والصخب الكريه ، وقديما قال الشاعر :

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

لقد وقع في يدي كتاب « الجغرافيا التاريخية الاسلامية » لمؤلفه الاستاذ محمد أحمد حسونة بك استاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وهو أول كتاب عربي طبع في موضوعه ومؤلفه مؤرخ فاضل له نشاطه في ميدان التربية والتأليف ، وكتبه المدرسية وغير المدرسية ومحاضراته التاريخية كلها موضع التقدير ، وقد جاوز الستين قبل ان يخط كتابه ، فقطع بذلك عمرا مباركا في دنيا العلم والتعليم ، ووقع في يدي الكتاب فبدأت بقراءة مقدمته على علم مني بمكانة المؤلف الكبير العلمية والرسمية بين الناس ، فراعني أن يقول ما نصه :

« وبعد فان كلية دار العلوم رات ان يدرس لطلابها شيء من الجغرافيا التاريخية الاسلامية يعينهم على تفهم التاريخ الاسلامي وما يرتبط به ، وقضت الظروف ان يسند الي تدريس هذه المادة الجديدة التي لا أعلم لها كتابا في اللغة العربية ولما كنت عديم الخبرة بهذا الموضوع فقد رجوت بعض علمائنا الفطاحل في الجغرافيا ان يكتبوا فيه ولو كانت كتابتهم مقصورة على العناصر المهمة ولكنهم اعتذروا بضيق وقتهم ،وهو عذر حقيقي بسبب ما يضطلعون به من مهام الدولة ، ومن ثم عكفت على تتبع آثارهم وجعلت أساس عملي رسالة قدمها الاستاذ حسن بك جوهر فاحتذيتها احتذاء يكاد يكون كليا واستعنت بما كتبه سعادة الاستاذ مصطفى عامر بك وكيل وزارة المعارف ، وحضرة الاستاذ الدكتور عباس بك عمار، ولم اتورع عن الاخذ من كتابات هؤلاء العلماء الاعلام ، وكثيرا ما نقلت افكارهم بأسلوبهم خشية أن أضل اذا انا حاولت تغيير الصيغة التي اختاروها ، ورحم الله امرأ عرف حدود جهله ووقف عندها ، فما جاء في هذه الوريقات من صواب فمرده الى هؤلاء العلماء وامثالهم، وما ورد فيها من خطأ فمرجعه الى تقصيري ، ورجائي ان يكون هذا الخطأ من الجسامة بحيث يحفز احد هؤلاء المتخصصين الى التأليف في موضوع حان الوقت لتدريسه » .

قرات هذه المقدمة وقد صدرت بتاريخ ٢٥ من جمادي الآخرة سنة ١٣٦٩ الموافق ١٣ من ابريل سنة ١٩٥٠ ، لان بعض الكتب الخاصة بموضوع الكتاب قد ظهرت في المكتبات بعد هذا التاريخ ، وهو ما تجدر ملاحظته ، اقول ، قرات هذه المقدمة فدفعتني سريعا الى قراءة الكتاب لالمس جهدا قويا في التأليف وكدا مثمرا في البحث اذ تعرض الكاتب بافاضة الى الحديث عن جغرافية بلاد العرب ثم الى الحديث عن طرق القوافل في الجزيرة حديثا مركز المعنى واضح الاتجاه فاذا فرغ من ذلك في اكثر من عشرين صفحة انتقل الى الحديث عن الظروف الجغرافية التي هيأت فتح العراق وفارس فأفاد واجاد ثم تابع القول في هذه الظروف التي مهدت لفتوح الشام ومصر وبلاد المغرب والسودان والاندلس والهند في تحليل علمي تؤيده التواريخ وتدعمه الاحصائيات ويأخذ من وصف البيئة الجغرافية بتضاريسها وسهولها وانهارها وجبالها وحقولها وسدودها ما يشرح عقبات الفتوح ويوضح طرق تذليلها توضيحا تمده البصيرة الكاشفة والحدس الخبير .

قرات ذلك كله في اعجاب بالغ لاقول في نفسي يالله ! استاذ كبير في ملئه يقدم كتابه الى تلاميذه الكبار بالليسانس والدراسات العليا ليقول لهم بعد ان بذل ما بذل ، وكابد ما كابد ما ملخصه « انا عديم الخبرة بالموضوع وقد رجوت العالمين ان يكتبوا فاعتذروا فاعتمدت على مؤلفاتهم ولم اتورع عن الاخذ من كتاباتهم وكثيرا ما نقلت افكارهم بأسلوبهم خشية ان أضل اذا حاولت تغيير الصيغة التي اختاروها ، ورحم الله امرأ عرف حدود جهله فما جاء في كتابي من صواب فمرده الى هؤلاء العلماء وما ورد من خطأ فمرجعه الى تقصيري ، ورجائي ان يكون هذا الخطأ من الجسامة بحيث يحفز احد هؤلاء المتخصصين الى التأليف في الموضوع !! » .

وهو قول يدل في رايي على ثقة الكاتب في نفسه ، وكأن مكانته بين الطلاب الكبار والقراء المتخصصين اثبت وارسخ من ان يزلزلها تواضع جاوز قدره حتى كاد يكون في راي السطحيين اعترافا بالقصور ، وهو عند المتعمقين دليل التمكن والرسوخ وآية الفضل والكمال .

لقد كان في مقدور المؤرخ الفاضل – لو تضخمت لديه نفسه تضخم الغرور – ان يكتب مقدمة غير ما كتب ، فيقول ما فحواه انه يدرس الموضوع الجديد ، فيخوض ميدانا يحتاج الى جهاد ، وقد الم ببعض المراجع

تحية وذكرى

الى صديقي القديم الكاتب العظيم ميخائيل نعيمة

★

يا خالد الذكر في صدق وانصاف ... آثارك الغر زهر ملء افواف

((نعيمة)) يا نياط الفكر في أدب ... كأنه درر في غير أصداف

لبنان يحويك لكن القلوب غدت ... في العرب مسكنك الحالي بأطياف

جاوزت ((سبعين)) من عمر يزيدهدى ... وانما عشت من عمر بآلاف

أذاكر أنت لقيانا بمؤتمر ... عاشت ((بلودان)) فيه ذات أعراف

قد كنت كالطود لا ريح تزعزعه ... ولا قرون وعول رهن ايجاف

ما بت تحتاج دفعي غير أن على ... مقامك الفذ ناداني لاسعاف

خاطبت شخصك في اجلال عارفه ... أيا (معلم) لا تعبأ باخلاف

حتى مضى شانيء يأوي لمستتر ... وباء بالكيد ذو سوء والحاف

ان كل فيك بصير او يد رجفت ... فكم رأيت نجوما طي اسجاف

وكم كسحت اضاليلا وشرذمة ... من البغاة لقد عاشوا بارجاف

قالوا : وشرحت ((جبرانا)) بجثته ... بمبضع فت في رأس واطراف

وما دروا ان من الفن مثلبة ... لا يمتريها كريم صنو اشراف

حرية الفكر أغلى من مجاملة ... لا يعتريها سوى آداب اخياف

لله أمسية في الشام بت بها ... تشعشع النور في ديجور أسلاف

يزورك الشوق في ((بسكنتة)) وله ... تحنان قلب على الاحباب هفهاف

ولي رفيق على لبنان أجعله ... بالروح والجسم في اسفار رفاف

دمشق

زكي المحاسني

فانتفع بها ! ثم يقتصر على ذلك دون ان يجد ملامة من إنسان ، ولكنه — في رأيي — اراد ان يقدم انموذجا من ادب النفس قبل ان يعطي شيئا من علم الدرس ، فلم يعبه ان يهتف بتلاميذه قائلا ((وكثيرا ما نقلت افكارهم بأسلوبهم خشية ان اضل اذا حاولت تغيير الصيغة التي اختاروها ، ورحم الله أمرأ عرف حدود جهله فوقف عندها)) .

هذا بعض ما قرات ، اقدمه للقارىء المنصف ليوازن بين مقدمة صاحب الكتاب الاول ومقدمة المؤرخ الاستاذ محمد احمد حسونه ، فيرى كيف ارتفع الفضل بانسان وهبط الادعاء بغافل ، وشهد الله اني لا اريد ان انتقص احدا ، ولكني وجدت في مقدمة ((الجغرافيا التاريخية)) موضعا للعبرة فدللت عليه ، مخففا من الم يعتادني حين اتذكر ان صاحب الشعر الاندلسي قد رماني بالحسد والحفيظة لاني حاولت الا اغرر بقارىء يثق في رأيي ، ولا اقل من كلمات في مقال تشفي من غيظ وتبرد من أوام .

الفيوم — دار المعلمات

محمد رجب البيومي

عـادل الغضبـان

الوتر المشدود بين التقليد والتجديد

بقلم غالي شكري

* * *

لعلني لست مخطئا اذا قلت ان النقـد العربي الحديث ، يخطيء في حق نفسه وفي حق الادب خطأ فادحا عندمـا يقتصر في اداء واجبه على متابعة الخطوط العامة التـي استقر عليها الراي ، دون التفاصيل التي تحتاج الـى تكوين الراي . ولا شك ان الاطمئنان الـى راي قديم ، أيسر منالا من الاجتهاد بـراي جديد . ولكـن ، لـو ان الاطمئنان كان سبيل الادب والادباء ، لمـا تطور الفن ، ولولا الاجتهاد والتجديد لما بقيت هـذه العلاقة القديمة الجديدة بين الانسان والفن .

وفي نقدنا العربي الحديث ، جهود غير منكرة فـي باب الاجتهاد ، غير انها من الندرة بحيث ان معظم النقد آثر الاسترخاء في باب الاطمئنان . ولذلك كثـر حديث المعاصرين عن القدامى ، ولكن دون ان يضيفوا الى ما قيل عن هؤلاء في زمن القديم شيئا اصيلا موهوبا . وعندمـا يولي نقادنا ظهورهم للقديم ، ويتجهون بالتقويم لادبنـا المعاصر ، فان غالبيتهم تقتات على موائـد السابقين فـي مناهج التحليل .

لكل ذلك نرى الكثير من المؤلفات حـول جهابذة التراث العربي في الشعر لا تضيف الـى مراى عيوننـا شعاعا جديداً على ما ارتآه الجرهاني وابن قتيبة وابـن الاثير وابن المعتز وغيرهم . كما نرى كثرة المؤلفات التي تدور حول البارودي وشوقي وحافظ من المحدثين ، فـلا نجد لمحة لم تخطر يوما ببال طه حسين او العقاد . وهكذا يكاد النقد في بلادنا ان يدور في حلقة مفرغـة حصادها إقل من القليل .

ان رؤية الغابة مـن بعيـد ، لا تكلفنـا سوى شراء المنظار ، ولكن رؤية الاشجار واحدة واحدة تحتاج منـا الى مزيد من الجهد ، اكبر كثيرا من شراء منظار قديم . أقول ذلك وقد اصبحت مجموعة مـن « الاعلام » فـي حياتنا الادبية من المسلمات النقديـة التـي نتداولهـا ــ بصوابها واخطائها ــ في يسر يسير ، بينمـا حياتنا الادبية اغنى كثيراً من هذه التعميمات التي درجنا اليهـا حتى بتنا من امرنا في عسر عسير .

في مقدمة هذه التعميمات ، ذلـك التقسيم او التصنيف للاتجاهات الادبية الـى كلاسيكية وروماتسية وواقعية ، وهو التقسيم او التصنيف المأخوذ برمته عـن الغرب .. او ذلك التقسيم والتصنيف الى جميل وقبيح ولفظ ومعنى وشائع ومبتكر ، مما اخذناه هـو الآخر ، برمته ، عن اسلافنا العرب . ولا ريب انـه ينبغي لنـا ــ ويحق ــ ان ننفتح علـى تجارب الآخريـن ، قدامـى ومعاصرين . ولكن الانفتاح شيء والنقل الحرفـي شيء آخر . فالانفتاح هو احدى لحظات « الثقافـة » وليس بالثقافة كلها ، هو التفاعل بالاخذ والعطاء ، امـا النقل الحرفي فهو اجتناب السير في طريق مجهول وايثـار السلامة بالسير في درب مطروق .

تلك رؤوس موضوعات تحتـاج الى عنـاء الدرس والتحصيل ، وهي الآن بالنسبة لي اكثر مـن جملة خواطر وانطباعات دارت برأسي وانا اتوقف بين صفحات ديوان العرب عند شاعر ظلم نفسه قبل ان يظلمه غيـره ، شاعر يضع النقد امام الاحساس بالذنب في موقف بالـغ الحيرة والتعقيد ، ذلكم هو الشاعر عادل الغضبان .

ومن المفارقات حقا ، ان هـذا الرجل بتواضعـه المسرف ــ فهو لم ينشر ديوانه بعد ــ قـد ادى فـي الماضي ، ولا يزال يؤدي في الحاضر ، والارجح ان اثـره سيمتد الى المستقبل ، ما لا سبيل الى نكرانه في حقـل الثقافة العربية . ولو اكتفينا في هذا المقام بمـا قدمته يداه لجيل الاربعينات من هذا القرن ، بمجلة « الكتاب » التي احتجبت عام ١٩٥٣ ، ثم للاجيال التاليـة ، بمجلة « اقرأ » التي تواصل الصدور ، ثم للادب العربي قديمـه وحديثه بموقعه في « دار المعارف » .. لو اكتفينا بهـذا الحصاد الفزير والخصب معا دون بقيـة نشاطاته فـي مختلف الارجاء ، لاستطعنا بضمير مستريح ان نعـده واحدا من اهم المعالم البانية والباقية في تاريخنا الادبي .

وسوف اقتصر هنا ــ الى حين ارجو ان يكون قريبا لافيه حقه من التقييم ــ على جانب واحد مـن جوانب حياته العريضة الثرية ، هو فن الشعر . وذلك بالرغم من ان تراثه المنشور قد اغفل « الشعر » ــ باستثناء « مـن وحي الاسكندرية » ــ وآثر القصة والمسرحية والنقـد ، فمن « احمس الاول » الى «ليلى العفيفة» الى «تيودورا» الى « ماروسيا » الـى « الشيخ نجيب الحداد » الـى مؤلفاته ومترجماته في حقل التربية والتعليم ، كلها قـد عرفت طريقها الى النور . اما الشعر ، فلسبب ارجو ان تفصح عنه هذه الدراسة الموجزة ، فقد عانى على يـدي صاحبه تجاهلا واعتكافا ، مما اوقع النقد فـي حيـرة خففت ــ فيما اظن ــ من وطأة الاحساس بالذنب .

ولقد تلقى عادل الغضبان حاسة الـذوق الادبـي ــ وربما ملكة الخلق ايضا ــ عـن اسرة عرفت بسعـة الاطلاع ومحبة الثقافة ، مما وفر له في طفولته وصبـاه الباكر مناخا ادبيا صالحا لاستنبات مواهبه فـي الخطابة

وقرض الشعر . وهو يذكر في هذا الصدد جده لوالدته، فقد رعاه طفلا وكان يصطحبه في غدواته ونزهاته ، وهو الذي أتاح لـه العدد الكبير من الكتب للمطالعة ، وهـو الذي عني بتحفيظه الشعر في سن مبكـرة ، فكانت اول قصيدة حفظها عنه يائية ابن الفارض ، كما كانت القصيدة الثانية ميميته . ومثـل هاتين القصيدتين ليس فـي متناول الاطفال لا روحا ولا لفظا . ولعل عزلة جده هـي التي حدته لان يؤثر هذه القصائد ، ثـم اتبعها بقصائـد اخرى . اما في مرحلة التفتح فقد اشتد عوده ، علـى ايدي الاب خليل اده اليسوعـي ، والخوري جـرجس شلحت ، والشاعر قسطاكي الحمصي ، ان حلمـه الاول كيف يكتب وقد كان معتـدا بنفسه لتفوقه في اللغـة العربية ، وعلمه الثاني بحور العروض الستة عشر ومـا يطرأ عليها من علل وزحافات ، ووطد الثالث لديـه حب اللغة . وسوف نلحظ الآثار العميقة المدى لهؤلاء الثلاثـة على بنائه الشعري ، بالاضافة الى ثقافته الفرنسية التي تلقاها وهو بعد تلميذ في المرحلة الثانوية ، اذ قرأ عيـون الرومانتيكية والكلاسيكية لاربابهما مـن امثال : رونسار وبوالو وكورني وراسين وشاتو بريان وهوجـو ولامرتين والفريد دي موسيه وجوته وشكسبير ، وغيرهم . ولـم تصادف اعمدة الرمزية والسريالية هوى من نفسه ، وان ظل منفتحا على آيات الابداع الفني ايا كان اتجاهه ، وايا كان مصدره . ولقد ترك التراث الانساني عامة ، والعربي خاصة ، بصماته واضحة علـى شعـر عـادل الغضبان ، ولكنها بصمات التفاعل الحي الخلاق الذي اثمـر شيئا لا يمكنك رده ببساطة الى احدى الخانات التقليدية للنقد الاوروبي الحديث ، او العربي القديم ، على السواء .

اذا صحت القاعدة النقدية القائلة بأن لكـل فنان عالمه الخاص ، وان ثمة « مفتاحا » لهذا العالم ، لو عثر عليه الناقد لاستطاع ان ينفذ الى اخفى الخفايا ، ولامس قارئه وشاعره معا بأعمق الاسرار واروعها . اقـول اذا صحت هذه القاعدة ، فاني ارجو ان يصدق خدسي بـأن مفتاح عالم عادل الغضبان الشعري ، هو ذلك البيت الذي اختتم به قصيدة عنوانها « وطني » قال فيه :

العمر فـان والحياة قصيرة والخالـدان عقيـدة وشعـار

في هذا البيت يوجز لنـا عـادل الغضبان ملمحـا رئيسيا في فنه، هو هذه المطاردة الخفية التي يستشعرها امامه وفي اعقابه ، ولكنه في اطار هذا الحصار المحكم ، لا يرى سوى « الصمود » طوق نجاه مـن هـذه الدائرة التي تضيق وتتسع كلما حلا لها كجبر صارم اشبه مـا يكون بالقدر المحتوم . وبالرغم من ان هذا البيت قد ورد في ختام قصيدة « وطنية » الا انه يصدق على مختلف المستويات التي تسبح عليها شعره . فنحـن نستطيع ان نتتبع هذا الطراد ـ مع لهاثنا ـ فـي قصائده العاطفية والاجتماعية والوجودية ان جاز التعبير عـن ذلك اللون الفلسفي الذي اضفاه على شعره كما يتضح في معارضته لابن سينا « النفس » . تتجسد هذه المطاردة الاليمة في قصائده الوطنية بأن يظل الصراع بين الشعب والاستعمار في حدود الدائرة المعذبة من النضال الـى الهزيمـة . وتتجسد في قصائده العاطفية بين العاشق والحبيبة في حدود الدائرة المضنية من الوجد الى الهجر . . وتتجسد في قصائده الوجودية بين الانسان والكون فـي حدود الدائرة الفولاذية من المهد الى اللحد . وهكـذا تنسكب على شعره ، ايا كان موضوعه وايا كانت اوزانه وبحوره ، نغمة اسيانة تسري الحانها الحزينة في الصورة الشعرية فتكسبها حرارة الدمع المحتبس .

يفتتح قصيدة « وطني » بقوله :

وطني متى الفاك مرعي الحمـى والاهل فيـك اعـزة والجار
أولست مهـدا للحضارة والعلا من قبل ما شابت بـك الاقدار
فـي كـل محراب وكـل كنيسة اثـر تقصـر دونـه الآثار

وهي مقدمـة تشي بعصب الرؤيـة الرومانسية للحضارة والتاريخ : النظر الى الوراء حين تقيم الدنيـا ويكاد المستقبل لا يبني ، فأمجاد الماضي الباهرة «تعوض» ـ مؤقتا ـ عن الحاضر المستباح ، والكئيب . وتتكامـل القصيدة فكرا ووجدانا ، فيتخللها الكفاح فـي ساحات الوغى ، ولكن سرعان ما تختتمها كآبة اليأس :

والنفي أهون مـن لزوم مواطن ضربت عليهـا ذلة وصغـار
العمـر فـان والحيـاة قصيرة والخالـدان عقيـدة وشعـار

وكآبة اليأس لا بد وان تقود الـى هـذه « المقولة » التي نستخلصها من قيثارة عادل الغضبان مهمـا اختلفت النغمات على اوتارها المشدودة ، واعني بها مقولة « الفكر اسبق وابقى من المادة » . تلـك هـي نـواة الفكرة الميتافيزيقية الغالبة على شعره وتكوينه النفسي . وهـي مقولة العزاء الرومانسي عندما تحكم الدائرة قبضتها على عنق الشاعر ووطنه . ولعل ذلك ما يكسر نـداءه الـى « الغرب » في قصيدته « صوت العرب » :

كفاك يـا غـرب طغيانا ومفسدة ورميك الشرق بالويلات والحرب
لولا تعهده روض النهى قدمـا لم تزه فيك غراس العلم والادب

هنا تستكمل الرؤية الرومانسية للوطنية معالمهـا ، فأمجادنا القديمة ذات فضل عـلى الحضارة الغربيـة المعاصرة التي بادلتنا نورا اخذته عن ماضينا ، بظلام يهدد حاضرنا ومستقبلنا . ولا شك انها وجهة نظر اخلاقيـة تستمد عصارتها الفلسفية مـن الفكر المثالـي الصرف ، وتكاد تشيح وجهها عن الاسس المادية للواقـع الموضوعي المحيط بظاهرة الاستعمار الغربي . ولكنها وجهة نظـر متسعة الى ابعد الحدود مع الشكل الرومانسي الـذي آثره الشاعر ، والمضمون الميتافيزيقي الذي يستهويـه . وللدارس الحق في نبش الجذور « الصوفية » للشاعـر في بيئته العائلية اولا ، وبيئته الدراسية ثانيا حيث تلقى تعليمه الباكر بمدارس الجيزويت . ولكن هذه البصمات الواضحة للينابيع الاولـى ، لا تلبث ان تخضع للمزاج

الحزين ، فقد عرف الشاعر ووطنه ، كثيرا من المحن عبر عنها في قصيدة « امانينا » بقوله :

طالت علينا الليالي وهي داجية   كأنها لم تلد صبحا لياليها

ولا يجد من ثم نصيرا الا في ذلك « الفادي » الذي استطاع بقوة روحية عظيمة ان يطلب المغفرة لجلاديه .. هكذا تطل الرؤية الميتافيزيقية من قلب الموقف الوطني ، كما نلحظ في خاتمة قصيدته « خواطر » .

ولكن هذا الحزن المرير لا يصل بشاعرنا – مطلقا – الى حافة الاستسلام ، وانما هو يثق في « النصر » ثقة تكاد هي الاخرى ان تكون ثقة ميتافيزيقية .. انه النصر القادم على هيئة معجزة ، من الارض او السماء ، لا يهم . وانما لا بد وان تحدث المعجزة يوما . وهو تفكير منطقي يتفق مع الميل الحاد من جانب عقل عادل الغضبان وقلبه الى « المطلقات » . ولنذكر ان الدائرة التي يتوسطها صراعه ، هي في حد ذاتها « مطلق » ، والطراد الهائل الذي يلاحقه ، لذلك ، طراد مطلق لا رحمة فيه ولا هوادة . الا تفسر لنا دائرة المطلق هذه ، حدة العواطف والانغام والافكار التي تشيع في عالمه الشعري ؟ من وهج العواطف المتقدة تذكو الرؤية الرومانسية في عالم عادل الغضبان ، ومن اضطرام انغامه تتدعم بنيته الكلاسيكية ، ومن عنف افكاره الثابتة تتدفق اخيلته الميتافيزيقية .

واعود الى القول بأن حزن عادل الغضبان هو حزن مطلق السراح من الاستسلام ، فالاستسلام هو لحظة تردد ، والتردد لحظة نسبية ، ولكن عادل الغضبان لا يستسلم امام حزنه ومرارته الكاوية للاعماق ، وانما هو يؤمن بالنصر ايمانا مطلقا ، كأنما معجزة لا بد وان تحدث لتغير من مسار الهزيمة .. فهذا هو ناموس الكون وقانون الوجود ، هكذا ينظر الى « العرب » في قصيدته « النصر المبين » :

بالامس كانوا للعظائم محورا   وغدا يدور الكون حول المحور

فبين الامس والغد « دائرة » من المطلقات الرومانسية تستلهم التاريخ وامجاده المدبرة ، دائرة محورها اليقين الميتافيزيقي بأن الحق ، لمجرد كونه حقا ، سوف يمحق الشر ، لمجرد كونه شرا . ولكن هذا المعنى في شعر عادل الغضبان ، لا يخدر الحواس بانتظار المعجزة في خميلة ظليلة من ورود المنى ، بل لا بد من استمطار المعجزة ، ولا بد من ان نثبت جدارتنا على استحقاقها . وهذا ما يطالعنا به في قصائد مثل « جرد سيوفك » و « ايها الجندي » ونشيد « لبيك امة العرب » . في الاولى يقول :

يا شرق لا تسكن الى دعة المنى   فالغرب كشر عن نيوب ذئاب

وفي الثانية يخوض مع « الجندي » اهوال البحر والبر والجو ، قائلا له :

قم الى الحرب وخض منها العبابا   وامتط الفولاذ في الروع ركابا

ان صبح النصر مهما يك غابا   فغدا تلقاه قد شق الحجابا

يبدو للباحث في شعر عادل الغضبان ان احزان الوطن تغلب ما عداها من احزان ، ولكن هذا السيل العارم الفوار من الغضب على الاستعمار والمستعمرين ، لا يحجب احزانه واشواقه الاخرى . كم التاع قلبه وفاض اسى يوم اجتاح وحش الكوليرا ارض مصر .. وبين الدموع الرقراقة النازفة من قلب جريح ، تراه ثاقب النظر الى علة العلل وداء كل الادواء . انه يمسح عن عينيه وعيون مواطنيه غشاوة الهم الثقيل ، ليروا خلف توابيت الموتى وندب النادبات ، ابا الهول المخيف ، اكثر مدعاة للرعب من وحش المرض الجاثم ، وقد تمثل ذلك قرب المنتصف في قصيدة « محنة » :

مصر لولا الجهل والفقر لما   عاش في ارجائها الداء المقيم

كم بها من خير سمح وكم   من غنى ضيق الكف لئيم

هو شر من وباء الكوليرا

هنا ، المأساة الاجتماعية للبشر تزلزل كيان الشاعر بعد طول روية وتمهل ، فليس ميكروب الهلاك الا ضيفا شريرا احسنت استقباله بيئة ينخر في عظامها سوس الظلم ، ولكن الفكرة الاجتماعية عند عادل الغضبان لا تتخلى عن محورها الميتافيزيقي في رؤية الكون ، كما تتجلى هذه الرؤية في قصيدته « منابع الرزق » ، وكان الشاعر قد مر ببحيرة تحيط بها الجبال الشماء والسهول الخضراء ، وقد نشر احد الصيادين شبكته بين شجرتين حتى تجف ويعود بها الى صيد الاسماك طلبا لرزقه ورزق عياله فأوحى هذا المنظر الى الشاعر بهذه الابيات :

برى الله هذا الفضاء الفسيح   وداول فيه السنى والحلك

وارسى على الارض شم الجبال   ومد البحار وشق الفلك

واودع قوت خليقاته   طباق الثرى ومياه البرك

وسخر هذا الغنى كله   لمن يطلب الرزق في المعترك

فسبحان ربي : ساع يلم الـ   نضار وساع يصيد السمك

ورزق همي كسيول الغمام   وآخر ضاق مضيق الشبك

على هذا النحو يرىعادل الغضبان الحل الاجتماعي، او الحل الروحي لمشكلة البشر ، وهي رؤيا ميتافيزيقية كاملة ، مدارها الفلسفي الايمان المطلق بالخير الكامن في الطبيعة ، ومدارها الواقعي الايمان المطلق بالعمل الانساني ..

لا يختلف الامر – عند عادل الغضبان – فيما يتصل بتجاربه العاطفية . وهو كشأن الغالبية العظمى من ادباء الوطن العربي ، نادر « الاعتراف» بخوالج القلب وهمسات الحب . ولكن هذا « التقليد » لا يمنعه من الاقرار بفضل سيدتين في حياته : اولاها تعرف عليها في عهد الشباب ، وكانت تكبره سنا ، وعلى جانب كبير من الثقافة والذكاء فاستفاد من لقاءاته بها واثر فيه توجيهها وما كانت تنثره على مسمعه من احاديث وآراء في العلم والفن والادب . ولما بلغ مبلغ الرجال كان لزوجته الاولى التي احترمها الموت في نضارة الشباب ، ولزوجته الثانية التي اختارها شريكة لحياته بعد عشر سنوات من وفاة الاولى ، كان

لكل منهما أثر في حياته الادبية « بما كانت تبذلانه من مشاركة روحية ورأي سديد وشورى كريمة في اعماله الادبية » . بهذه الكلمات البخيلة ، ينتهي « الاعتراف » في حياة عادل الغضبان العاطفية وهي لا تشفي غليل الناقد الذي يود ان يستشف ما وراء الاخيلة الوارفة الظلال على قصيدتين من اهم قصائده الوجدانية ، وهما « تحت الكرمة » و « المراة والشاعر » . وبينما تنحو هذه الاخيرة نحو التجريد والتعميم ، تتجه الاولى نحو التجسيد والتعيين . وهما ، معا ، لا يخرجان على اطار الحلم الرومانسي في الحب ، وان اختلفت التجربة الذاتية بحرارتها الدافقة ، عن التجربة « العامة » بوقارها الصارم .

في قصيدة « تحت الكرمة » يبتهل شاعرنا الى الليل ان يتستر على خلوتهما ، فيترك السحب تطوي النجوم وتغيب القمر وتطارد اشعة الفجر . ذلك ان المحبوبة قلما توافيه في موعدها ، وها هي عين الرقيب قد غفلت عنهما ، واغصان الشجر جنت عليهما :

ليل قضيناه في سحر وفي سمر　　والحارسان علينا الطهر والادب
لم نصح من غفلة كانت تحيط بنا　　الا على عبرات الفجر تنسكب
فودعتني ودمع العينين منهمر　　والقلب مثل جريح الطير يضطرب
يا صبح فرقتنا من بعد خلوتنا　　يا ليته لم تزح عن وجهك الحجب

ان « سذاجة » البناء الشعري ، جزء لا ينفصل من الديكور العام للقصيدة ، بصورها البسيطة وانغامها السيالة ، فالشاعر هنا لا يتناول « الرخام » ويصنع منه تمثالا مهيبا للحب . وانما هو يرسل النفس على سجيتها ، وفي احدى لحظات صدقها « الفطري » مع الحياة ، لذلك جاء في هذه الحيوية وهذه العذوبة ، واكرر هذه السذاجة الحلوة ، عنوان البراءة الاولى . اما القصيدة الاخرى فهي تمثال رخامي شامخ ، وقلما تعثر فيه على اللفة الشخصية ، فالمراة هنا هي « المثال » وليست امراة بعينها :

هي من تسبي فتاها بالجمال　　وتناجيه بسحر ودلال
كلما اذكت به العزم مشى　　يطلب المجد ولو كان محال
قوة قدت من الضعف وكم　　خلقت من ذلك الضعف رجال

ولان المراة هنا « نموذج » يلخص نظرة الشاعر للجمال الاسمى ، فان الصورة الشعرية تصبح مجموعة من المجردات ، على عكس الصورة الشعرية في القصيدة الاخرى حيث تتجسد في جزئيات الحياة والواقع : الصورة الاولى تتصف بالجلال الساكن لا يملك الانسان ازائها الا الخشوع الصامت ، اما الصورة الاخرى فتتصف بالالفة والمودة ولا يملك الانسان ازائها الا التعاطف الحار. غير ان الشاعر في كلا الحالين كان ينطلق من رؤيا واحدة للمراة والحب والجمال ، هي الرؤيا الصوفية التي تنفذ من المشخص الى المجرد ، فتجسد التجريد وتجرد الجسد في آن ، حتى ليمسيا شيئا واحدا هو الوجود . وتلك هي الرؤيا التي بلغت درجة عالية من التبلور والتركيز في القصيدة السامقة التي صاغها عادل الغضبان معارضا الشيخ الرئيس ابن سينا في قصيدته عن « النفس » ، وهي القصيدة التي تحتاج من القارىء ان يعود الى نصها الكامل ، لان اجتزاء مقتطفات منها يفسد ذلك الجو « الهيكلي » ان جاز التعبير عن بنائها المتشابك المعقد . ويكفي القول انك — وانت تقرأها — تلهث خلف ذكريات متباعدة ، من دانتي الى رؤيا يوحنا الى ابي العلاء المعري . . حتى تمسك بأطراف ذلك الهيكل وقد نسجه الشاعر ، بصبر ايوب او صبر بنيلوب لست ادري ، نسجا شديد الوهج حتى لتكاد تغشى عيناك لو حدقت النظر ، وعميق الظلمة حتىلتكاد ان تضل الطريق. وكأن شاعرنا يود ان يقول لك : هذه دنياك ، النور الوهاج والظلمة الظلماء جنبا الى جنب ، فأين انت من الشعرة الخفية التي تفصل بينهما .

من نافل القول ان نتساءل في ختام هذه الدراسة الموجزة عن الصياغة الجمالية في شعر عادل الغضبان ، فالحق ان المطالعة المتأنية للنماذج القليلة التي امكن عرضها في هذا البحث ، تضع ايدينا في غير اجهاد على شاعر كلاسيكي البناء رومانسي المضمون . ولذلك قلت منذ البداية اننا لا نستطيع — ولا يحق لنا — ان نصنف شعر الغضبان في احدى الخاناتالتقليدية للنقد الاوروبي الحديث او النقد العربي القديم ، على السواء . فهذه القوالب المعدة سلفا لتجارب غيرنا ، يجب ان نفيد منها المنهج العام ، لا ان ننقلها بحذافيرها . وها هو ذا شاعر يتحدانا بشعره ان نقسره في خانة دون سواها . انه باختياره اللفظة العربية الرصينة والمنتقاة ، والتزامه الصارم بالعمود الخليلي ، ولهاثه وراء المطلقات وكأن طرادا عنيفا يلاحقه ، هو شاعر كلاسيكي بكل معنى وهو باختياره لاهواء الذات وتجارب العاطفة وامجاد التاريخ الغابر موضوعا للشعر ، بارتدائه هذه الحلة الفاخرة من الحزن والمرارة واللوعة ، شاعر رومانتيكي لا غش فيه . وهو في كلاسيكيته ورومانسيته جميعا ، ابن وفي للتراث الانساني عامة والعربي خاصة ، ولكنه اكثر وفاء للارض التي حملته والسماء التي ظللته ، مهما تعارض هذا الوفاء مع مقاييس النقد ومعايير النقاد . ولعل المسافة — التي جسدت هذا التعارض — بين شعر عادل الغضبان ونقد النقاد ، ليست في نهاية الامر الا هذه المسافة الواقعة بين النقد عامة والادب العربي الحديث مما يعبر عنه بعضهم احيانا قائلين ان هناك « ازمة » في النقد . انها بغير شك ازمة الانفصال عن واقعنا الادبي بملابساته المختلفة في الكثير عن ملابسات الآداب الاخرى ، وملابسات تراثنا ، وهي المنابع التي يؤثر نقادنا الاخذ عنها سواء روت زهورنا الادبية او قتلتها عطشا . والخطأ الفادح الذي يقع فيه عادل الغضبان اكثر من غيره انه يضيق من اطار الازمة حتى ليخالها خاصة به وحده ،

مرثية البدر الاخضر

بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر بدر شاكر السياب

يا بدرا عانق ليلي رغم الظلمة
من فمك المكدود المتعب ..
... تلفظ كلمة ..
تحمل خبزا يكفي الجائع في ليل الحرمان
تحمل فجرا أخضر للانسان .
في ليل الاحزان تقابلنا .. اثنين ..
بدرا يسبح في سحب الحرمان
.. وربيعا يسقط اوراقه ..
.. وتلاقينا .. في غربتنا ..
املا ينمو في الاحشاء ..
ونسيما .. في جوف دخان ..
تسائلني :
كيف البسمة جفت في الريعان
كيف الحب النابض يغفو في قيعان الظلمة
كيف تجف البسمة ؟
والامل النابض يجهض
ونسيم في جوف دخان ..
يا بدرا ... أعرفه حقا ...
لم أعرفك يسوعا تشفي العاني ..
لم أعرفك رضيعا .. تنطق من فمك الحكمة..!
.. تنصح فيها الكاسل .. والمتواني
بل أعرفك في حرمانك ..
تؤمن كيف يكون الحب رداء العاري
هل تعرفني ؟
أسهر في منتصف الليل الاسود وحدي

في دنيا حرماني أمضي ، او اتعثر
لا ادري .. يا قمري الاخضر
قالت عيناك لعيني ظامىء حب
الناس حيارى في دنيانا ...
أمضيت العمر غريبا في دنيا احزان .
والوحش الكاسر ينشب ..
... في الاحشاء المخلب ..
فنغني في غثيان : « .. ديسمبر ..
يا ليل الاحزان الاسود ..
بلبلنا .. غاب .. عانقه الصمت
ديسمبر .. يا ليل الاحزان الاسود »
يا بدرا يغفو في ظلمات البرد الحيرى في ديسمبر
يا غصنا من زيتون اخضر !..
هذي كلماتي ..
... باقة ورد ، في ذكراك
يا قمري الاخضر ، يا احزاني ،
يا أشلائي ،
أين أراك ؟
والليل الاسود مصباحي
وطريقي ادمته جراحي ..
قل لي بالله حبيبي ..
أين أراك ؟ كيف أراك ؟

القاهرة — حسين علي محمد

بينما هي في الحقيقة ظاهرة عامة . من حق عادل الفضبان ـ وغيره كثيرون ـ ان يعرف مكانه من خريطة الشعر العربي ، ولكن أستلاب هذا الحق على ايدي نقاد لا يعون واجبهم لا يمنحه حقا ـ بديلا ؟ ـ في حجب قيثارته عن الناس . فليس من العدل في شيء ان يحول ادراكه الجزئي لظاهرة اعم تتجاوز شخصه ، دون ان يقدم لقرائه ديوانه كاملا .

يصف عادل الفضبان « شاعرا » ما لا تصعب علينا معرفته قائلا :

خطرات النسيم من نفثاته	واحمرار الاصيل رمز جراحه
ودموع الصباح من عبراته	ونواح الطيور رجع نواحه
وخرير الغدير من خفقاته	وحميا العيون افضل راحه
هو لولا الهوى وصلب قناته	لم يفز خصمه برمي سلاحه

وهي ابيات توجز ايجازا امينا روح ذلك الشاعر ، او ذلك الوتر المشدود بين التقليد الكلاسيكي العريق ، والتجديد الرومانسي الشفيف . وهو وتر اصيل عزف لامتنا من الالحان ما يدعني اقول بضمير مستريح ان عادل الفضبان صوت باق في ديوان العرب .

القاهرة — غالي شكري

جرح جديد

•

فؤاد الخشن

•

الشويفات - لبنان



هاك جرحا فوق ذاك الجرح فانعم
بالذي تسكب افواه الجراح
ايها القلب الذي ينضجه
موقد الشمس ... وتذروه الرياح
يا شقيا بهوى طفل سماوي يشاء
صخرة الوديان تاجا للقمم
ويرى في فحمة الليل السدومي المتاح
ماسة الدهر التي تخزن شلال الصفاء .
همك الدائب يا او ليس ما زال يطوف
سائلا ، عبر سلالات الحروف ،
عن دم الحرف الذي استعصى على كل السيوف
باحثا عبر وحول الرجس عن جوهرة الطهر الفريدة
حالما في باب عشتار المباح
باساطير جديدة !
ايها الآتي من الماضي وجنات رؤى
لم تعش يوما بغير الكتب
اتظل العمر مسلوبا ، خياليا غبي
ومغيرا بسيوف الخشب
لتقاتل
في حقول القمح هامات السنابل
وتشك الرمح في كل طواحين الهواء !
استرح يكفيك يا كيشوت هذا العصر
ما جرعت من خل التجارب
وسقوط في تراب الحزن والخيبة مما
رحت في ارض الاباطيل تحارب
ان عصر الحب والفرسان ولى
وزمان الورق الوردي والسكب من الاعراق غاب
زهرة الحلم التي تولد من قلب المحار
لم تزل في الصدف المرصود في جوف البحار
فلتعش في تربة الواقع يا من
ينشد العنقاء والخل الوفي
ودع آلال الذي يحسب ماء واكتف
يا انجذابا بالبراءات التي تذكي ولوعه
يبتني من حبه الطفل بحبات الرمال
لخلود الذات جدران الهرم
ويقضي العمر تطواف حنين وارتحال
نحو ((يوتوبيا)) المثال
ثم لا يجني من الوهم سوى دمع الفجيعه
ولظى ينساح في الهدب اكتئاب
ونقابا من غمامات الندم

كان

في وسع « اغينس » ان تصارحني ، بدلا من هجرها لي على هذا النحو ، وكأنها تتعمد فيه اثارتي ! انا لا ادعي الكمال ، ولكن حبذا لو اخبرتني بالذي تنوي ، اذن لبحثنا الامر سويا . انها ، خلال سنتي زواجنا ، لم تفه بكلمة احتجاج واحدة . واذا هي تنتهز فرصة غيابي ، في صبيحة احد الايام ، لتنسل كخادم عثرت على مكان افضل . اجل ، غادرتني ، وعلى الرغم من غيابها ستة اشهر ، لم استطع ادراك السبب .

في ذلك الصباح ، بعد تبضعي اللوازم البيتية من سوق قريب (في الحق ، تلذ لي هذه المهمة : انني لأحفظ الاسعار عن ظهر قلب ، واجيد المساومة ، بقدر حرصي على ان اعرف من اي حيوان سأقتطع شرائح اللحم ، ومن اية سلة ستكون تفاحاتي !) .. اقول : خرجت ، ثانية ، لابتياع ياردة ونصف من « الهداب » لستارة غرفة الطعام . عرجت على عدة محلات ، اتقاء لكل غبن يمكن ان يلحق بي ، وذلك قبل ان اعثر على طلبي في محل صغير في شارع « اوميلتا » . ولما عدت في الحادية عشرة ، دخلت غرفة الطعام لاقارن الهداب بالستارة ، فوقع نظري على المحبرة والريشة فوق الطاولة ، والى جانبهما رسالة . لقد صعقت ، حقا ، لوجود المحبرة على خوان الطاولة . بحق السماء ، اكان عليها ان تكون خرقاء الى هذا الحد؟ لقد بقعت الخوان . رفعت ما على الطاولة ، واخذت الخوان الى المطبخ حيث تمكنت من ازالة البقعة الحبر بفضل الليمون والدلك الحثيث . ثم ، بعد نشره على الطاولة ، تذكرت الرسالة . كانت موجهة الي : الفريدو . فضضتها وقرات :

« نظفت البيت . يمكنك ان تعد طعامك بنفسك ، لانك معتاد على ذلك . وداعا ، فأنا عائدة الى بيت والدتي . اغينس » .

لم استوعب ما جاء في الرسالة ، فأعدت قراءتها كرة اخرى ، فاتضح لي ان « اغينس » هجرتني بعد سنتين من زواجنا ! وضعت الرسالة في درج جانبي ، حيث احتفظ ، عادة ، بالايصالات والرسائل ، وجلست على كرسي قرب النافذة . كنت مضطرب الخاطر ، غير مهيأ للتفكير ، وبصعوبة صدقت ما حل بي . وبينما اقلب الراي وقع نظري على ريشة بيضاء ، انسلت من منفضة الغبار في اثناء تنظيف « اغينس » للبيت ، فالتقطتها ورميت بها خارج النافذة . ثم اعتمرت قبعتي وغادرت البيت . .

كنت اطأ بقدمي بلاطة واتجاوز اخرى لاطأ التي تليها ، لعادة متأصلة عندي . وانا اسائل نفسي : اذا كنت

لا تبحث عن السر

تأليف البرتو مورافيا

ترجمها عن الانكليزية
يوسف طباخ

قد اقترفت اثما جعل « اغينس » تهجرني بهذه الطريقة الفظة المهينة . فلأتذكر ، اولا ، ما اذا كانت «اغينس» قد لاحظت اية بادرة مني مهما وهت على خيانتي لها .

وههنا ابادر فأجيب نفسي : لا شيء من هذا قط . وصراحة انا لم اكن مغرما بالنساء ، لانني لا افهمهن ولا يفهمنني . ويمكنني ان اجزم

قصة

بأنهن قد تلاشين من حياتي منذ تزوجت . ولقد كانت « اغينس » تحاول ان تثيرني بسؤالها من فترة لاخرى : « ماذا تفعل لو انك وقعت بهوى امرأة سواي ؟ » فكنت اجيبها : « لا مستحيل ، انني احبك مدى حياتي » ، والان اتذكر ان « مدى حياتي » هذه لم تكن تبهجها ، بل كانت تقطب وتزور عني عائدة الى صمتها .

لقد كنت قلقا من ان اكتشف ، مصادفة ، ان تكون «اغينس» قد هجرتني لاسباب مالية ، او بسبب معاملتي لها بوجه عام . الا ان ضميري كان مرتاحا : فمن ناحية المال ، صحيح انا لم اعطها الا لماما ، ولكن ما حاجتها الى المال ؟ لقد كنت مستعدا لان اقوم بواجب الدفع على الدوام . واما معاملتي لها ، فلم يكن يزعجها شيء مني ، ويمكنكم ان تحكموا بأنفسكم . كنا نرتاد السينما مرتين في الاسبوع ، ومرتين للمقهى — مع حقها بأن تتناول « البوظة » او تحتسي القهوة ، حسب هواها — واشتري لها مجلتين مصورتين شهريا اضافة للصحف اليومية ، وفي الشتاء كانت الاوبرا موضع اتفاقنا ، واما في الصيف فقد كنا نقضي العطلة في مارينو بمنزل ابي .

هذا بالنسبة للهو ، اما الملبس ، فلم يكن لها الا اليسير من الاعتراض ، ان كان ثمة اعتراض . فعندما تحتاج لشيء ، منهدة او جورب او منديل ، اكون على استعداد لان اصطحبها الى المتاجر ، واساعدها في الاختيار ، ومن ثم ادفع دون تذمر . اما الخياطات ، او بائعو القبعات ، فلم اكن احملها على ان تقول : « اريد ثوبا ، او قبعة » ، دون ان اجيبها : « هلمي نذهب معا » ، بل اقر بأنها لم تكن كثيرة الطلبات : فبعد السنة الاولى من زواجنا كفت عن اقتناء الملابس . ولقد كنت الفت نظرها الى حاجتها لثوب او اي شيء اخر . الا انها اعتادت ان تجيبني بأن لديها من العام الفائت ما يكفي ، حتى لقد

اعتقدت انها تختلف عن النساء اختلافا بينا ، فلم تكن تحفل ببهرج الثياب .

اذن فليس السبب ماليا او عاطفيا . لم يعد ثمة الا ما يدعوه رجال القانون « عدم الانسجام » . واتساءل : ومن اين يتأتى « عدم الانسجام » ، ونحن لم ندخل في نزاع او جدال طوال السنتين .

كنا دائما متفاهمين ونعيش تحت سقف واحد . ولو كان هناك شيء من « عدم الانسجام » اذن لبدا ذلك. ولكن « اغينس » لم تكن لتعارضني، واستطيع الجزم بأنها لم تكن تتكلم قط . ونادرا ما كانت تنطق ونحن نقضي امسياتنا في المقهى او البيت، لانني كنت اقوم بدور المتكلم . وليس لي ان انكر انني احب التحدث والاصغاء الى نفسي ، وبخاصة اذا كنت اجالس من تربطني به صلة ود . وان حديثي ليتميز بالهدوء والانسياب والسلاسة واعتدال النبرة ، وان طرقت موضوعا فصلته ايما تفصيل . والاحاديث عن شؤون البيت هي المفضلة عندي : فمثلا اهوى الحديث عن الاسعار ، وترتيب المفروشات ، والطبخ ، والتدفئة ، وما شابه .. واني لاجدني ، احيانا، ابدي في هذا واعيد ، دون ان احس مللا . ولنكن منصفين ، فهذه الاحاديث هي الملائمة للمراة: والا فأي حديث يمكن الخوض فيه مع امراة ؟ وبالنسبة الي لقد اعتادت «اغينس» ان ترهف سمعها لحديثي على الاقل هذا ما بدا لي — الا اني لاحظت في مرة واحدة فقط ، وانا اشرح لها كيف يعمل مسخن الماء الكهربائي ، انها تهوم . فأيقظتها : « هل مللت؟» ، لكنها تعللت بأنها متعبة ، وان نومها في الليلة التي سبقت كان غير مريح.

وان من عادة الازواج الخروج مع رفاقهم ، في اوقات فراغهم . اما انا فقد كانت «اغينس» هي صديقتي. فما كنت ابارحها ، وكنت البث في جوارها — ربما تدهشون — حتى في اثناء اعدادها الطعام . ومن فرط ولعي بالطهي كنت اشد المريول الى وسطي وانا اساعدها . كنت اقشر البطاطا ، وافرط البازلياء ، كما كنت اراقب طناجر الضغط . وقد كانت تقول لي احيانا : « انظر .. لقد اصابني الصداع ، سأستلقي » . عندئذ اتابع وحدي ، واقوم بمساعدة مرشد الطبخ بتحضير اطباق جديدة. ولسوء الحظ ، لم تكن « اغينس » اكولا ، وقد فقدت اخيرا شهيتها للطعام واصبحت لا تكاد تمسه . وانها لتقرعني ذات مرة — مداعبة طبعا — : « لقد اقترفت خطأ يوم ولدت رجلا .. انك امراة، ربة منزل»!

ولم يكن قولها هذا ليخلو من الحقيقة : فالى جانب الطهي ، كنت احب الغسيل ، والكي ، والخياطة ، وفي اوقات فراغي ، كنت اعيد تطريز المناديل . ومصداقا لما اقول، لم اكن اتركها ، حتى عندما تحضر صويحباتها لزيارتها ، ويوم تراءى لها ان تتعلم الانكليزية ، بذلت انا الاخر جهدي لتعلم هذه اللغة الصعبة ، لكي اظل برفقتها ، كنت لازمها ملازمة الظل ، حتى لقد جعلت من نفسي اضحوكة : ففي المقهى مرة تبعتها الى « المغاسل » كي استوضحها ما همست لي به ، فحال المراقب بيني وبين الدخول ، إذ كانت خاصة بالسيدات .

نعم .. ان زوجا يحمل خصائصي لا يسهل العثور على مثله . واحيانا كانت تخبرني : «انني مضطرة لارتياد محل كذا ، لكي اقابل فلانا الذي لا تميل انت اليه » ، فكنت اجيبها : « لا عمل لدي .. سأرافقك » . عندئذ كانت تجيبني : من ناحيتي تعال ، ولكنني احذرك من انك ستمل » . الا ان شيئا من الملل لم احسه قط . واني لاقول لها : « لم امل » ، كنا في الحقيقة متلازمين .

وصلت دكان ابي وانا اقلب الراي في هذه الامور عبثا ، اذ لم هجرتني؟ كان حانوت ابي على مقربة من ساحة « مينرفا » معدا لبيع الاشياء المقدسة . كان والدي شابا ، اسود الشعر اجعده ، وتحت شاربيه الاسودين ابتسامة غامضة . انه رقيق الحاشية ، هادىء ، دمث ، لتعامله مع رجال اتقياء . اما والدتي التي تعرفه جيدا ، فتقول انه « مستخف في ثيابه » ! مررت بواجهة العرض الحافلة بالمسوح والاواني ، الى غرفة خلفية حيث مكتبه . كان كعادته يدقق حساباته ، قارضا شاربيه متفكرا . بادرته مبهور الانفاس :

— ابي ! اغينس هجرتني .

رنا الي وكأنه يبتسم ابتسامته المعهودة ، هكذا خيل الي . ورد علي:

— انني آسف ، آسف جدا .. لكن كيف حدث هذا ؟

رويت له ما حدث بالتفصيل ، منهيا كلامي :

— طبعا انني مغتاظ من فعلتها .. ولكني اريد ان اعرف لماذا هجرتني ؟

فبدت الدهشة عليه :

— الم تعرف ؟

— لا .

صمت قليلا ، ثم تنهد :

— الفريدو .. انني آسف ، لكن لا ادري ما اقول لك .. انت ولدي ، وانا معجب بك ، واحرص على مؤازرتك .. ولكنها زوجتك .. وهذا من شانك ..

— صحيح ، ولكن لماذا هجرتني ؟

هز رأسه :

— لو كنت مكانك ، لما بحثت عن السر . دعها وشأنها . ما يضيرك الا تعرف السبب ؟

— يهمني كثيرا ان اعرف السبب .. يهمني اكثر من كل شيء .

ودخل الحانوت قسيسان، فنهض ابي للقائهما وهو يخاطبني :

— عد الي فيما بعد .. فنتحدث .. انني مشغول الان .

غادرت الحانوت ، وقد ايقنت الا فائدة ترجى .

توجهت الى بيت ام « اغينس »

الزورق العائد

سيعود ليحملني الزورق وسأبصر حلمي قد أورق
وستزهر في قلبي الافراح ويمضي اليأس وقد اخفق

ملاحي .. أطلق اشرعتي ما القلب بشاطئه موثق
فانا للرحلة مرتهن وشراعي يوما لن يخاق
وسأمضي، والابحار هوى، ان غاب النجم وان أشرق
ودروبي تهفو للرؤيا والشوق يلج وان اشفق
فانا يا قلب على سفر أبدا سأكون على زورق
وحكاياتي قيد السما ر ، يطوف بها ليل مرهق

سيعود ليحملني الزورق وسأبصر حلمي قد اورق
ان تسمع يا صوت الحرما ن تعربد في الصدر المغلق

دمشق سلافة العامري

القريب ، في ساحة « فيتوريو » ، وقد دخل في روعي ان « اغينس » هي الوحيدة التي يمكنها ان تميط اللثام عن هذا السر ! ادخلتني حماتي بدلا من « اغينس » ، غرفة الاستقبال . كانت حماتي تمتلك حانوتا ، وهي امراة لا اقدر على احتمالها ، بشعرها الاسود المصبوغ ، وخديها الموردين ، وابتسامتها المصطنعة الماكرة . كانت ترتدي مبذلا قد زين صدره بوردة . وقد خاطبتني ، اذ راتني ، بود مزيف :

ــ الفريدو ، ما تفعله هنا ؟

اجبتها :

ــ انت تعرفين ما حملني على المجيء ، لقد هجرتني اغينس .

ردت بهدوء :

ــ نعم ، انها هنا . وماذا يمكننا فعله من اجل هذا ، يا ولدي العزيز؟ انها امور تقع وحسب .

ــ ماذا ؟ اهذا هو الجواب الوحيد الذي عندك ؟

امعنت بي النظر :

ــ هل حدثت والدك بأمرك ؟

ــ نعم حدثت ابي .

ــ وماذا قال لك ؟

فكرت : وما يعنيها ان تعرف ما قال ابي ؟ وبامتعاض اجبتها :

ــ انت اعرف بأبي .. لقد قال لي : « من الافضل الا ابحث عن السر » !

ــ فانبرت تقول :

ــ انه على حق ، يا ولدي ، لا تبحث عن السر .

صرخت وقد انتابتني حميا :

ــ لماذا هجرتني ؟ ما فعلت لها ؟ اخبريني .

وفي سورة غضبي ، وقع نظري على الطاولة ، المغطاة بخوان ، في وسطة دائرة مزركشة ، وقد وضعت عليه مزهرية قرنفل احمر . كانت الدائرة منحرفة عن المنتصف . فقفزت ، بحركة تلقائية ، بينما كانت حماتي ترمقني مبتسمة بصمت .

رفعت المزهرية ، وشددت الخوان ، حتى جعلت الدائرة في منتصف الطاولة . عندئذ قالت :

ــ احسنت صنعا ، الدائرة الان في المنتصف تماما .. انا لم الحظها ، ولكنك لاحظتها في الحال .. احسنت صنعا .. والان من الافضل ان تذهب ، يا ولدي العزيز !

انتصبت واقفا لحظة ان رأيتها تنهض . ووددت لو اسأل ان كان في وسعي رؤية « اغينس » ، لكني تصورت ان ذلك عبث ، فضلا عن ان خوفا قد ساورني من ان افقد اتزاني ، اذا ما واجهتها ، فآتي بعمل احمق . لذلك غادرت البيت .

ولم ارها حتى هذا التاريخ . الا انها ربما عادت الي ، يوم تدرك ان ازواجا مثلي لا يمكن مصادفتهم كل يوم من ايام الاسابيع .

ولكنها لن تطأ عتبة بيتي ما لم تبين سبب هجرها لي .

دمشق يوسف طباخ

روحي الخطيب - توفيق ابو شريف

موسى مزاوي - موسى علي الغول

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - روحي الخطيب

لمئات خلت من السنين ، شوهد « ريوجنيس » يطوف شوارع أثينا في وضح النهار ، وفي يده قنديل مضاء يستعين به ليحظى بشيء يفتش عنه ... وكان من الطبيعي أن يثير تصرفه هذا مواطنيه فسألوه : « عما تفتش ؟ » فاجابهم : « افتش عن الانسان ! » ولو قدر لي أن اعاصر ذلك الفيلسوف اليوناني لاومأت باصبعي الى « الانسان » الذي ينشده ... في اهاب روحي الخطيب !

وولد « روحي » في بيت المقدس عام ١٩١٤ من اسرة عريقة في عروبتها وهي اسرة « الكناني » التي استوطنت القدس منذ ثمانية قرون وتولت الخطابة في المسجد الاقصى جيلا بعد جيل .

وفي سن دراسته دخل المدرسة الرشدية وانهى فيها الصف الثانوي الاول والتحق بالكلية الانكليزية وامضى فيها ثلاث سنوات وحصل على شهادة امتحان اوكسفورد وكمبردج عام ١٩٢٩ وعين معلما في دار الايتام الاسلامية بالقدس . وفي عام ١٩٣١ عين موظفا في دائرة المهاجرة والسفر وعمل في عدد من المدن الفلسطينية وقدم خدمات لرجال الحركة القومية في فلسطين ، ممن كانت السلطة البريطانية تحاول القبض عليهم واعتقالهم في سجونها لئلا يقوموا بنشاط عدائي ضدها خارج فلسطين .

وفي عام ١٩٤٣ نقل الى دائرة شؤون العمل وظل يعمل فيها مدة عامين ، وبعد الشروع في تأسيس المكاتب العربية استقال من عمله الحكومي مضحيا بتقاعده وعين رئيسا لديوان المكتب العربي في القدس عام ١٩٤٦ وظل يعمل فيه حتى عام ١٩٤٨ كما عمل في المشروع الانشائي . وبعد حلول النكبة المروعة الاولى في فلسطين التحق باللجنة القومية في القدس وقام بواجبه المدني اثناء القتال العربي - الاسرائيلي ثم كموظف اداري في مكتب الارتباط الخارجي التابع للجيش الاردني وبعده عين مديرا لمكتب تصاريح السفر في القدس ، وظل يصرف شؤونه حتى شهر نيسان ١٩٤٩ ، فهجر العمل الحكومي وانصرف للاعمال الاقتصادية والعمرانية في المدينة المقدسة، فاسس مع نفر من اخوانه بضع شركات منها « شركة الفنادق العربية» برأس مال تعاوني زهيد مقداره ستة آلاف دينار مقسمة على ٦٦ مساهما وانتخب رئيسا لمجلس ادارتها ومديرا عاما لغاية ٨ - ٣ - ١٩٦٨ ، وكانت باكورة مشاريع هذه الشركة « فندق الزهراء » وهو أول فندق عربي ، بل اول مشروع اقتصادي اقيم في القدس بعد النكبة الاولى ، وكان الناس ينظرون الى هذه المجموعة من الشباب نظرة تهور وطيش وجنون ... لان الاوضاع السياسية في فلسطين كانت مضطربة

وايمانا من « روحي » بان للمدينة المقدسة واجبا عليه ، فقد وجه بعد نكبة ١٩٤٨ ، كل عنايته وجهده لدعم الوجود العربي في المدينة ومضاعفة عدد السكان العرب فيها ، عن طريق المشاريع التعاونية كخطوات أولية لبعث النشاط والحركة فيها .

ومن ابرز المشاريع التي اسهم في تأسيسها ورعايتها :

١ - شركة الفنادق العربية : تأسست عام ١٩٤٩ وكان لانشائها الفضل الاول في تشجيع عرب القدس اولا ثم اخوانهم الفلسطينيين والاردنيين في الداخل والخارج ثانيا والحكومة الاردنية ثالثا ، في استثمار اموالهم في انشاء فنادق اخرى في المدينة حتى بلغ عدد الفنادق العربية في أول ١٩٦٧ سبعين فندقا ، منها فندق الامباسادور ، ثاني فندق انشأته هذه الشركة ، والتي كان « روحي » رئيس مجلس ادارتها ومديرها العام منذ تأسيسها عام ١٩٤٩ ، وحتى تاريخ ابعاده من قبل سلطات الاحتلال الاسرائيلية عن المدينة في ٧ - ٣ - ١٩٦٧ .

٢ - شركة القدس العقارية : تأسست عام ١٩٥٠ ، ووجهت عنايتها مبدئيا لتعمير الابنية المدمرة ثم انشاء اول حلقة من المخازن التجارية خارج سور القدس ، مما شجع اصحاب الاملاك والمال على استثمار اموالهم في عمران البلد ، وكان من نتيجتها انشاء اسواق تجارية جديدة واخرى سكنية امتدت شمالا حتى رام الله ، وشرقا حتى قرى الطور والعيزرية وابو ديس واتصلت بالمدينة المقدسة . وفي عام ١٩٦٥ تسجلت هذه الشركة رسميا ووسعت اعمالها لشراء الاراضي في قرى النبي صمويل والعيزرية لاقامة ضواح سكنية عربية جديدة فيها . وكان « روحي » امين سر هذه الشركة منذ تأسيسها في عام ١٩٥٠ وحتى ابعاده من المدينة المقدسة على أيدي سلطات الاحتلال الاسرائيلي في ٧ - ٣ - ١٩٧٠ .

٣ - شركة كهرباء محافظة القدس : تأسست عام ١٩٥٦ برأسمال اشتركت فيه بلديات محافظة القدس التالية : القدس ، رام الله ، البيرة ، بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، اريحا وعدد من قرى المحافظة وآلاف من سكانها العرب المقيمين والغائبين . ولقد سعت هذه الشركة لتعريب الشركة البريطانية القائمة منذ ١٩٢٨ واشترت امتيازها وحلت مكانها ، وتمكنت خلال الاعوام العشرة التي تلت تأسيسها من بناء محطة توليد جديدة وايصال شبكاتها وتيارها الكهربائي الى جميع مدن المحافظة والى ثلاثين قرية منها ، كما شجعت على المزيد من اعمال البناء وانشاء المصانع والمستشفيات والمدارس والمشاريع العمرانية الجديدة ، وكان « روحي » ينتخب باستمرار رئيسا لمجلس ادارتها وعضوا منتدبا لها منذ تأسيسها عام ١٩٥٦ وحتى تاريخ ابعاده عن المدينة المقدسة الى عمان في ٧ - ٣ - ١٩٦٧ وفي عام ١٩٥١ انتخب سكان القدس العربية الاستاذ روحي عضوا في اول مجلس بلدي منتخب للمدينة بعد النكبة الاولى .

وفي ١٩ - ١ - ١٩٥٧ اختارته الحكومة الاردنية رئيسا لبلدية القدس (ويقضي قانون البلديات الاردني بتعيين الرئيس من قبل الحكومة شريطة ان يكون من الاعضاء الاثني عشر الناجحين في الانتخابات) .

ولقد وجه « روحي » خلال رئاسته جهودا مرموقة في توفير الخدمات الرئيسية للسكان والحجاج والسواح ، وفي مقدمتها النظافة والتنظيم والمياه والكهرباء ، كما وثق علاقات البلدية بالحكومة والبعثات الشعبية والطوائف الدينية والجمعيات الخيرية والمعاهد الثقافية والنقابات العمالية وبعض الهيئات في البلاد العربية والصديقة ، الامر الذي اكسبه محبة الجميع وعاد بكثير من التقدم والتطور على القدس وسكانها ، وشجع الاهلين على اعادة انتخابه عضوا في كل من الدورات الانتخابية الثلاث : ١٩٥٥ و١٩٥٩ و١٩٦٣ كما شجعت الحكومة الاردنية

على اعادة تعيينه رئيسا للبلدية بعد كل دورة انتخابية تلت ذلك .

وعندما اعتبرت السلطات الاردنية « القدس » عاصمة روحية للمملكة استبدلت اسم « بلدية القدس » باسم « امانة القدس » كما استبدلت اسم « رئيس بلدية القدس » باسم « امين القدس » وهو الاسم الذي حمله الاستاذ الخطيب فيما بعد وعمل جاهدا للاخلاص له.

ومن ابرز الاعمال والمشاريع التي ساهم « روحي » في تحقيقها كرئيس وأمين للقدس الاعمال والمشاريع التالية :

١ ـ صيانة شبكة المجاري والطرق القديمة داخل السور .

٢ ـ انشاء شبكة مجار وطرق جديدة خارج السور .

٣ ـ تقوية مشاريع المياه القائمة ، وصيانة محطاتها وشبكاتها وايجاد مصادر جديدة للمياه في الخليل وينابيع القلط والفوار وانشاء محطات ضخ جديدة على كل منها ، وبناء مستودعات واسعة في كل محطة وانشاء خزان كبير يتسع لثلاثة)لاف متر مكعب شمال القدس ، وربط الجميع مع القدس بشبكات انابيب ضاعفت كميات المياه للقدس ثلاث مرات عما كانت عليه في نهاية عام ١٩٤٨ ، ووفرت لسكان القدس وحجيجها وسواحها وتقدم عمرانها حاجتهم من المياه الصالحة .

٤ ـ استملاك قسم من الاراضي المجاورة للسور شراء وتحويلها الى متنزه يجمل المدينة .

٥ ـ انارة القسم الشمالي من سور المدينة ليلا لاضفاء جاذبية سياحية على السور ، واستكمال المخططات وشراء المعدات الكهربائية اللازمة لانارة الجهتين الشرقية والجنوبية من السور ايضا .

٦ ـ استكمال انشاء موقف الباصات الجديد وسوق الخضار خارج السور .

٧ ـ التشدد في منع البناء على اقسام واسعة من جبل الزيتون حفاظا على قدسيتها لدى المسيحيين والمباشرة بزراعتها بثلاثة آلاف شجرة زيتون ، مهداة للمدينة المقدسة من كل من روما وتونس واثينا ، موفقا بذلك الصلات بين القدس والاردن من جهة ، وبين ايطاليا والفاتيكان وتونس واليونان من جهة اخرى .

٨ ـ استملاك أرض في وسط المدينة وشراؤها نقدا بمبلغ مئة وعشرين الف دينار وتجهيز مخططات هندسية لانشاء أول موقف تكسيات عليها في المدينة يتسع لمئة وخمسين سيارة تحت الارض ومئة فوقها ، وعدد من الطوابق التجارية وللمكاتب ، تبلغ تكاليف انشائها حوالي ستمئة الف دينار اردني ، والغاية من هذا المشروع ابعاد السيارات الصغيرة من مواقفها العادية امام ابواب السور (حفاظا على جمال السور وابوابه) وتجميعها في مكان يتوسط المدينة ويخدم مصالح سكانها ، ثم الاستملاك وتجهيز المخططات لهذا المشروع ، وكان من المنتظر طرح البناء للمناقصة في النصف الثاني من عام ١٩٦٧ ، لكن المشروع تجمد باحتلال المدينة .

٩ ـ استملاك اراض اخرى في شمالي المدينة وشرقيها لانشاء محطتين للباصات ، الاولى للباصات الوافدة من المدن والقرى الشمالية والثانية للمدن والقرى الجنوبية ، وقد تم الاستملاك كخطوة اولية ، وتوقفت المراحل الاخرى بسبب الاحتلال ايضا .

١٠ ـ استئجار اراض وقفية داخل السور ، بني على احداها مدرسة للبنات في حي المغاربة ، وشرع في بناء مدرسة اخرى للاطفال في حي السعدية لكن العمل توقف بسبب الاحتلال .

١١ ـ استملاك اراض اخرى لبناء مدارس وانشاء ملاعب خارج السور ، واحدة في حي الشيخ جراح والثانية في وادي الجوز ، وقد تمت اجراءات الاستملاك ، وتوقفت المراحل الاخرى بسبب الاحتلال الاسرائيلي .

١٢ ـ قيادة حملة تعريب شركة الكهرباء البريطانية والمساهمة في تأسيس شركة كهرباء محافظة القدس العربية بمبلغ ستين الف دينار ازدني والعمل على تطويرها ودعمها وتمديد شبكاتها وتخفيض أسعارها.

١٣ ـ انشاء نواة مكتبة وشراء ارض ووضع مخططات لانشاء مكتبة تليق باسم القدس في وسط حي باب الساهرة .

١٤ ـ وضع مخطط جديد لتوسيع حدود المدينة وتطوير تنظيمها بالنسبة للسكان والخدمات والحفاظ على المقدسات والآثار .

١٥ ـ تشجيع عقد المؤتمرات العربية والدينية والسياحية والقومية لدعم القدس عربيا ودينيا .

١٦ ـ المساهمة كعضو في اللجنة التحضيرية الفلسطينية التي اوصت باختيار اول مجلس وطني فلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ وكذلك في اللجنة الثانية التي اوصت باختيار المجلس الثاني عام ١٩٦٨ .

ورغبة من الاستاذ روحي في دعم الضفة الغربية بالاعمال العمرانية وتنشيط حركة السياحة فيها دعا اخوانه من اثرياء الكويت عام ١٩٦٦ للاصطياف في رام الله وضواحيها والتملك فيها وانشاء المساكن على قطع من الاراضي تقع في جبل الطويل بمدينة البيرة ، فاقبل الاثرياء على الشراء ، وقامت امانة القدس بتنفيذ هذا المشروع، لكن النكبة الثانية التي عصفت بفلسطين عام ١٩٦٧ جمدت هذا المشروع الحيوي .

وللاستاذ الخطيب نشاطات ذات اثر في القطاع العام ، فكان عضوا في « لجنة اليتيم العربي » التي انشات المعهد الصناعي الثانوي بالقدس وممثلا لمجلس امناء « المعهد العربي الاردني الكويتي » الذي تم تأسيسه عام ١٩٦٣ في قرية « ابو ديس » احدى ضواحي القدس ، لتثقيف ابناء الشهداء العرب وتعليمهم مهنا حرة ، ورئيسا لرابطة المناضل الجريح بالقدس وغيرها من الجمعيات القومية .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي البغيض حلت السلطات الاسرائيلية مجلس بلدية القدس العربية وانهت خدمات رئيسه الاستاذ الخطيب بتاريخ ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ لكن عملية ضم القدس العربية وما تبعها من اجراءات عسكرية وادارية ، في عدادها حل المجلس البلدي وانهاء خدمات رئيسه ، لم تعترف بها الجمعية العمومية في هيئة الامم في قراريها المؤرخين في ٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٧ و ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٧ .

وفي ٧ ـ ٣ ـ ١٩٦٨ اعتقلت السلطات الاسرائيلية الاستاذ الخطيب وابعدته الى مدينة عمان في الضفة الشرقية تخلصا من صموده ومقاومته للاحتلال الاسرائيلي . وبعد وصوله الى عمان عقد مؤتمرا صحفيا شرح فيه اهداف اسرائيل التوسعية وما تبيته لفلسطين وعربها من مخططات جهنمية ، كما عقد مؤتمرا مماثلا في مدينة بيروت حضره مندوبون عن الصحافة العربية والعالمية ، وظل منزله ندوة للمخلصين العاملين للقضية الوطنية ، ومحجة للصحفيين المستطلعين أخبار القدس واحوالها .

وفي عام ١٩٦٨ زار الاستاذ الخطيب قداسة البابا بولس السادس في الفاتيكان وشرح له الخطر الصهيوني الجاثم على صدر عرب فلسطين والاماكن المقدسة من جراء الاحتلال الاسرائيلي ، كما زار في هذا العام مدينة نيويورك للمشاركة مع الوفد الاردني في جلسات مجلس الامن اثناء مناقشة قضية القدس ، وفي هذه الزيارة تحدث الاستاذ الخطيب في مجلس الامن ، حول اعتداءات اسرائيل على مدينة القدس العربية وشروعها في تغيير معالمها .

وفي عام ١٩٦٩ زار نيويورك للغرض نفسه كما زار باريس واسهم في شرح قضية حريق المسجد الاقصى الذي قام به الاسرائيليون يوم الخميس المصادف ٢١ آب ١٩٦٩ ، كما اسهم مع الوفد الاردني في اليونسكو في شرح الاعتداءات الاسرائيلية ضد الممتلكات الثقافية في القدس .

وفي عام ١٩٦٨ عقد في بيروت المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية وانتخب الاستاذ روحي عضوا وامينا عاما لهذا المؤتمر . وفي ١٩٦٩ زار ماليزيا وحضر المؤتمر الاسلامي المنعقد في كوالمبور واشترك مع

الوفد الاردني في شرح ظلامة فلسطين ، والقى كلمة في الوفود الاسلامية حول اعتداءات اسرائيل المتواصلة على القدس والاماكن المقدسة .

وفي عام ١٩٧٠ عقد المؤتمر الثاني لمنظمة المدن العربية في البحرين فانتخب الاستاذ الخطيب نائبا للرئيس ، وقد وزع على اعضاء ذلك المؤتمر كتابه القيم « تهويد القدس » الذي روى فيه مأساة المدينة المقدسة .

وفي منتصف نيسان ١٩٧٠ ادلى في عمان بشهادة قيمة امام اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة والمكلفة التحقيق بانتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان العربي في الاراضي العربية المحتلة .

وفي ربيع عام ١٩٧٠ انتدبته جامعة الدول العربية لزيارة اسبانيا وجمهوريات امريكا اللاتينية ليشرح القضية الفلسطينية بصورة عامة وقضية تهويد القدس بصورة خاصة ، فزار اسبانيا والبرازيل واروغواي والارجنتين والشيلي والبيرو وكولومبيا وفنزويلا وغويانا ، وكشف للجمهوريات اللاتينية مآسي الحكم الاسرائيلي وما يلحقه بعرب البلاد المقدسة من جور واضطهاد واغتصاب للاملاك والعقارات العربية ، وما يوقعه بالعرب من ظلم وتشريد ، مستهدفا تحويل البلاد من بلاد مقدسة الى بلاد صهيونية عنصرية عسكرية توسعية ارهابية شبيهة بالحكم النازي .

وفي صيف ١٩٧٠ انتدبته منظمة المدن العربية ليرئس وفدها الى مؤتمر المدن الموحدة العالمي المنعقد في مدينة لينتفراد بالاتحاد السوفياتي .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ الخطيب عشرات المقالات عن القضية الفلسطينية على وجه التعميم وعن القدس على وجه التخصيص، وكشف للعالم عن المخططات الجهنمية التي أعدتها الصهيونية العالمية لازدراد قلب العالم العربي .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي صنف كتابا باسم « تهويد القدس » ونشره عام ١٩٧٠ وفيه صور مراحل تهويد المدينة المقدسة .

وتقديرا من مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت قام بترجمة هذا الكتاب النفيس الى اللغة الانكليزية وصدر عام ١٩٧٠ ، وهو في سبيل ترجمته الى الفرنسية والاسبانية والالمانية .

نموذج من نثره : « ليست عملية تهويد القدس التي تقوم بتنفيذها سلطات الاحتلال العسكرية الاسرائيلية منذ السابع من حزيران ١٩٦٧ ، الا سلسلة حلقات من مخططات اسرائيلية رهيبة قامت باعدادها عقول صهيونية متآمرة حاقدة على البشر والانسانية على مدى الاجيال ، مستخدمة في تنفيذها ، أقصى ما وصلت اليه وسائل الارهاب والبطش والاستعباد من تجارب وفنون ، وآخر ما وصل اليه العلم الحديث من أجهزة ومبتكرات ، سائرة في تطبيقها بسرعة الذرة ، مخالفة جميع الشرائع الانسانية والقانونية والدولية ، مستهدفة في سبيل ذلك اغتصاب الارض العربية بشتى الطرق والوسائل ، وتشريد أصحابها وتصفيتهم ، والاستيلاء تدريجيا على المقدسات الاسلامية ، وتحويل المدينة المقدسة في مدى قصير ، وقبل ان يتحد العرب ويتجاوب معهم المسلمون والمسيحيون ، وقبل ان يصحو الضمير الانساني والعالمي ، مركزة على تهويد القدس وتصفية الوجود العربي وبخاصة الوجود الاسلامي في المدينة ، كما تعمل في الوقت نفسه على عزل المدينة المقدسة عما جاورها من القرى والمدن العربية ، وبالتالي مجابهة العالم بالامر الواقع .

لقد وضعت التصميمات الاولية لهذه المخططات الرهيبة في المؤتمر الصهيوني العالمي الاول المنعقد في مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧ برئاسة الدكتور تيودور هرتزل ، وجرى تنفيذها على مراحل كان أبرزها ما يلي:

أ ـ اعلان وعد بلفور في ٢ ـ ١١ ـ ١٩١٧ من قبل الحكومة البريطانية ومنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين .

ب ـ تعيين السير هربرت صموئيل ، الصهيوني الانكليزي ، في ١ ـ ٧ ـ ١٩٢٠ اول مندوب سام انكليزي في فلسطين ، ليضع الاسس الفعلية لتنفيذ وعد بلفور .

ج ـ تسهيل الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي تحت الحراب البريطانية اولا وبالمساعدات الاميركية والالمانية ثانيا ، ما بين ١٩٢٠ و ١٩٤٨ ، حتى ارتفع عددهم من (٥٦) الفا في سنة ١٩١٨ الى (٦٥٠) في ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ ، بينما ارتفع عدد يهود القدس من بضعة آلاف في سنة ١٩١٨ الى (٩٠) الفا في سنة ١٩٤٨ .

د ـ قرار هيئة الامم بتقسيم فلسطين بتاريخ ٩ ـ ٢ ـ ١١ ـ ١٩٤٧ ، وما تبعه من احتلال المنظمات الارهابية الصهيونية لمعظم احياء القدس قبل انسحاب جيوش الانتداب البريطانية في ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ .

هـ ـ اعلان دولة اسرائيل في ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ ، واعتراف هيئة الامم بها ، وتشريد معظم السكان العرب من المدينة المقدسة واغتصاب املاكهم بموجب ما أسموه « قانون املاك الغائبين » .

و ـ اعلان القدس عاصمة لاسرائيل في ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٥٠ ، ونقل برلمانهم اليها ، وزيادة الهجرة والاستيطان اليهودي فيها ، بحيث أدى ذلك الى ارتفاع عدد السكان اليهود من (٩٠) الفا في سنة ١٩٤٨ الى (١٩٠) الفا في سنة ١٩٦٧ .

ز ـ واخيرا الاحتلال العسكري لما تبقى من المدينة في ٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ ومباشرة تنفيذ مراحل التهويد النهائية فيها ، ضمن عدد من الاجراءات العسكرية والارهابية والتشريعية والادارية ، اوردها فيما يلي ، مسلسلة حسب وقوعها ، معتمدا في ذلك على مشاهداتي الشخصية اثناء اقامتي مدة تسعة اشهر في المدينة المقدسة بعد الاحتلال ، وعلى ما جمعته من معلومات فيما بعد ، من الوافدين ، ومما تكتبه الصحف والمجلات والكتب الصادرة في المناطق المحتلة ، بالعربية والعبرية ، وعلى مجموعة من الوثائق والخرائط والصور .

القتل والاعتقال والتدمير والنهب : كانت اولى وسائل التهويد التي استعملتها السلطات العسكرية حين احتلال القدس هي نفس الاساليب التي لجأت اليها منظماتهم الارهابية في دير ياسين وكفر قاسم والمناطق المحتلة سابقا ، فقد امطرت القوات الاسرائيلية المدينة وسكانها المدنيين ، اثناء القتال في اليوم الاول ، وبعد انسحاب القوات الاردنية في اليومين التاليين ، بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة ، جوا وارضا ، وبموجات من رصاص الرشاشات ، مما ادى الى استشهاد (٣٠٠) من المدنيين ، وكان في عدادهم عائلات بكاملها داخل المنازل ، وبعضهم في الطرقات والازقة ، اثناء فزعهم وهربهم من جحيم النيران المنصبة عليهم . وقد دمرت القنابل مئات من العقارات السكنية والتجارية خارج السور وداخله كما أحرقت عشرات المخازن خارج السور ، والحقت اضرارا فادحة بعدد من الجوامع والكنائس والمستشفيات ، منها كنيسة القديسة حنة (المعروفة بالصلاحية) وكانت تضم (٣٠٠) من اللاجئين الوافدين اليها من خارج السور وكنيسة كلية شميدت خارج باب العمود ، والمسجد الاقصى ، ومئذنة باب الاسباط ومستشفى اوغستا فيكتوريا على جبل الزيتون ، وكان مكتظا بالجرحى والمرضى .

وقد استولى الجيش الاسرائيلي على معظم الابنية الكبيرة في المدينة ، وفي مقدمتها المدارس والفنادق ، وقام بنهب محتوياتها ومحتويات المتاجر ودور السكن والسيارات وذلك بعد اعلان وقف القتال .

ولجأت السلطات المحتلة الى فرض نظام منع التجول ساعات طويلة ، وفي فترات متلاحقة كانت تقوم بتجميع سكان الاحياء لساعات طويلة ليلا وتبقيهم تحت أشعة الشمس الحارة نهارا ، وتسوق مئات من السكان الى معتقلات مجهولة ، وتحجزهم غير مبالية بالسن ، وتخضعهم لانواع شتى من التعذيب النفساني والجسدي ، ولم يعرف

مصير الكثيرين منهم حتى اليوم . وتسببت هذه الموجات من انجرائم والارهاب الوحشي بنزوح حوالي (٥٠٠٠) مدني ، معظمهم من اللاجئين التعساء » .

٢ ــ توفيــق أبــو شريف

شعاره منذ وعى ظلامة امته .. وعاش مأساة شعبه ... قوله البليغ : « في العالم قاعدة تقول « حين يتوقف الكلام يلجأ المرء عادة الى زنده ... ليعيش موفور الكرامة ! » » .

ولد « توفيق » في قرية كفرعقب (من اعمال قضاء رام اللــه) وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة البيرة للبنين ودروسه الثانوية في كلية روضة المعارف لمؤسسها المرحوم الشيخ محمد الصالح ، والتحق بالجامعة الامريكية سنة ١٩٣٣ واحرز منهـا شهادة بكلوريوس فـي السياسة والاقتصاد سنة ١٩٣٧ وكان من زملائه ثلاثة من اعلام الشعـر العربي المعاصر هم عبد المنعم الرفاعي ومحمود الحوت وسعيد العيسى.

وبعد عودته الى بيت المقدس عين استاذا في « مدرسة النهضة » لمؤسسها المربي المرحوم خليل السكاكيني والتحق بمعهد حقوق القدس وعمل في الاذاعة الفلسطينية في عهد المرحوم ابراهيم طوقان مــدة اربع سنوات .

وفي اعقاب عام ١٩٤٢ التحق بمؤسسة البنك العربي وعين مساعدا لمدير البنك العربي في حيفا وفي ١ ــ ٨ ــ ١٩٤٣ نقل مديرا للبنــك العربي في اربد وفي عام ١٩٥١ نقل مساعدا لمدير البنك العربي فــي عمان وفي عام ١٩٦٦ عين مديرا للبنك العربي في محطة مدينــة عمان ، وله نشاطات اجتماعية وقومية في جمعيتي اصدقاء القدس ورعاية أسر المعتقلين والاسرى العرب في سجون ومعتقلات اسرائيل .

من آثاره القلمية : مارس « توفيق » الكتابة في الصحف والمجلات العربية واول مقال نشره سنة ١٩٣٢ فــي مجلـة « روضة المعارف » بالقدس حول تاريخ سبسطية وآثارها ، كما نشر في جريدة « النهار » خلال دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت بحثــا مطولا عــن انواع الحكومات والانظمة السياسية في العالم ودلل في بحثه هذا على الفارق بين الحكم الصالح والحكم السيء وتمنى لبني جلدته نظاما صالحا يوفر لهم الطمانينة والعدالة .

وخلال دراسته في الجامعة الامريكية كـان مـن محرري مجلة « العروة الوثقى » وخازنا لجمعيتها ومن مقالاته في هذه المجلة مقــال بعنوان « العلم عند العرب » . وقد اسهم في جمع ونشر ديوان الشاعر المرحوم عبد الرحيم محمود المطبوع سنة ١٩٥٨ كما اسهم في جمع ونشر كتاب « مختارات من شعر المقاومة » المطبوع سنة ١٩٦٨ ولــه مــن المؤلفات المخطوطة الكتب التالية : (١) أبطال من بلادي ، (٢) القدس العربية ، (٣) أحكام الدية .

نموذج من نثره : « أحب الحياة ... وأحب الناس جميعا
أحب الجمال وأراه في اكثر نواحي الحياة ومظاهر الطبيعة
أراه في زرقة السماء الصافية
أراه في ضفائر الشمس الذهبية التي ترسلها الى الارض فــي الصباح والاصيل !
أراه في انسياب ماء الغدير وهو يروي الارض العطشى وفي تدفق مياه النهر وهي تحمل فوقها القوارب
أراه في ثنايا الخمائل يفوح منها العبير فيعطر اريجه الطبيعة
أراه في الجبال الشاهقة والوديان السحيقة والاشجار الباسقة
أرى الجمال في الامواج المتكسرة على الشاطىء
أراه في البحر الثائر وعلى الشاطىء الغافي
أراه في الليل الهادي والنجم الساطع !
أراه في نسمات الهواء تداعب غصون الاشجار
أراه في الراعي يسير بقطيعه في الصباح الى الغابة وهو يعزف على نايه اعذب الانغام !
أراه في بسمة الطفل وفي انحناءة الشيخ الكبير
أراه في نشاط الشباب واندفاعهم في سبيل أوطانهم ، وفــي جلال الشيوخ وحكمتهم في تصريف شؤونهم
أراه في المرأة التي ترعى بيتها واطفالها وتنشىء الجيل الصاعد عدة المستقبل وعماد الوطن
أراه في المرأة التي تكافح في سبيل الوطن والحياة الكريمة
أراه في المرأة التي تعمل في الحقل الانساني فتساعــد الفقيــر وتغيث الملهوف
أراه في العمل الدؤوب والوطنية الصامتة التي لا تتكلم
أراه في الجهاد المتواصل دون كلل او ملل
أراه في التسامح والصفح ، واراه في عزة الاباء والشمم ! »

٣ ــ موسى الياس المــزاوي

ظل « موسى » مباها معتزا بقول انتوني ناتنغ وزيـر الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية : « ان اعظم حدث تاريخي في تاريخ العرب الحديث انطلاق المقاومة الفلسطينية . فمنذ ايام صلاح الدين الايوبي لم تشاهد المنطقة انطلاقة مثل هذه الانطلاقة التي حدثت قبل حــرب عــام ١٩٦٧ » .

ولد « موسى » فــي مدينة « حيفــا » بفلسطين عام ١٩٢٥ وانهى دراسته الابتدائية في المدرسة الاميرية بحيفا عــام ١٩٣٧ ودراسته الثانوية في المدرسة الاسقفية الكاثوليكية وفي مدرسة الفرير بحيفا عام ١٩٤١ ، وبعد تخرجه عين موظفا في المحكمة المركزية هناك واقتـرن بالسيدة (مي) الصباغ كريمة المناضل الفلسطيني الشريف المرحـوم يوسف الصباغ .

وفي مطلع عام ١٩٤٦ قصد بريطانيا لدراسة الحقوق وعمل فــي المكتب العربي بلندن وكان رئيسه عهد ذاك الاستاذ موسى العلمي .

وفي عام ١٩٥٠ تخرج الاستاذ المزاوي محاميا من معهد (جرايزان) بلندن وعمل مستشارا حقوقيا لحكومة (برقة) في بنغازي اي قبيــل استقلال ليبيا .

وفي عام ١٩٥٧ حصل على شهادة بكلوريوس في القانون مــن جامعة لندن وعلى شهادة استاذ في القانون من الجامعة نفسها عــام ١٩٦١ وكان اختصاصه القانون الدولي العام .

وفي لندن زاول الاستاذ موسى المحاماة وشغل وظائف مختلفة في اذاعتي قبرص ولندن واخيرا استقر في التدريس وهــو الآن كبيــر المحاضرين في القانون الدولي في (كلية هولبورن) بلندن .

ومنذ نزوحه الى لندن وهو ينشر عشرات المقالات ويذيع عشرات الاذاعات في المواضيع القانونية والاجتماعية والسياسية باللغتين العربية والانكليزية ، ومن الامثلة على اتساع نشاطه ، وتشعب جهاده ، انــه في الوقت الذي كان فيه يدافع عن القضية الفلسطينية فـي الصحف والاذاعة والتلفزيون البريطاني ، ويرسل صوته مدويا على امواج الاثير في بريطانيا والعالم باللغة الانكليزية كان يذيع في نفس اليوم بل فـي نفس الساعة حديثا أدبيا وسياسيا من اذاعة لندن باللغــة العربية ، وكانت اذاعة لندن نفسها تبث له في البرامج الاجنبية كذلك حديثــا باللغة الانكليزية عن النقاط القانونية في النزاع القائم حول روديسيا وهو يعد كتابا شاملا عن هذا الموضوع .

واذا كان الاستاذ المزاوي هــو المناضل الفلسطيني والخبيــر السياسي والقانوني الاختصاصي والاديب الاجتماعي في آن واحد فــان هناك ناحية هامة من النشاط الذي بذله خلال الخمس والعشرين سنة الماضية يمكن اعتبارها بحق وحقيق ذروة نتاجه وجهاده ومصدر فخره

واعتزاز له وهي تفانيه في خدمة القضية العربية علـى وجه التعميم والقضية العربية الفلسطينية على وجه التخصيص ، مضافا الى ذلك كله سعيه لتحسين سمعة الادب في الخارج وشجبه للبغي الصهيوني والعدوان الاستعماري .

وخلال عمل الاستاذ المزاوي في المكتب العربي بلندن عام ١٩٤٦ كتب الكثير حول ضرورة دعم وسائل الاعلام العربي في الخارج بالكفاءات والوسائل الجدية لتحسينه ، وتضاعف نشاطه في هذا المضمار قبيل العدوان الاسرائيلي على الاجزاء الباقية من فلسطين في ٥ حزيران ١٩٦٧ . وبعد انهيار الجهاز الاعلامي العربي في بريطانيا اثناء ذلك العدوان وبعده نتيجة لانسحاب الكثيرين من الدبلوماسيين العرب أصبح الاستاذ موسى مثل السيف فردا ... وظل وحده في الميدان الناطق المعبر عن وجهة النظر العربية ، يكتب في امهات الصحف والمجلات البريطانية ويتحدث في الاذاعة والتلفزيون ويلقي المحاضرات والخطب ، ويشترك في المناقشات والمناظرات وينظم الاجتماعات . وقد اعترف له بذلك المراقبون السياسيون في بريطانيا ، راندولف تشرشل وابنه ونستون في كتابه « حرب الايام الستة » الواسع الانتشار بقولهما : « ان الاذاعة البريطانية المحلية لم تستطع ان تبرز وجهة النظر العربية ، وقد يكون العرب انفسهم الملامين على ذلك ... وفي لندن باستثناء بعض الصحفيين الروس وشخص لا صفة حكومية او رسمية له هو الاستاذ موسى المزاوي المحامي الفلسطيني لم يكن هناك من يمثل وجهة النظر العربية » .

وفي النكبة الفلسطينية الثانية (٥ حزيران ١٩٦٧) قام الاستاذ المزاوي يدافع دفاعا مشكورا عن وجهة النظر العربية في الصحف البريطانية وفي الاذاعة والتلفزيون بلندن ، وقد ترك دفاعه المجيد هذا في نفوس العرب المقيمين في بريطانيا صدى مستحبا ، اراد ان يعبر عنه الطبيب الشاعر الدكتور فؤاد حداد المقيم في لندن بقوله :

سلم اللسان وبوركت شفتاكا ... بالحق تنطق آه ما أسماكا
اطربتنا والحق يطرب سمعه ... فاكثر وردد يا أخي مغناكا
ما كنت أحسب ان صوتك مطربي ... هل « معبد » في صوته حاكاكا
بالامس قبلنا الحدود محبة ... واليوم نرجو لو نقبل فاكا
فطلعت شمسا في سماء دجنة ... كنت المزيل لافكهم هناكا
لا تنطلي اقوالهم وفعالهم ... لو حاك دساس لهم ما حاكا
« موسى » تقبل من أخيك تحية ... ملء الفؤاد المنتشي بثناكا
واضرب بسيف الحق كذب مقالهم ... ابقاك ربي سالما ورعاكا

وفي السنوات الثلاث الاخيرة نشط الاستاذ المزاوي في تنسيق وتقوية المشاريع الاعلامية العربية ، وكان من مؤسسي « مجلس تعزيز التفاهم البريطاني ـ العربي » وقوامه نخبة من الشخصيات البريطانية الكبرى . وقبل استقالته من هذا المجلس عمل رئيسا للجنة التوجيهية فيه مدة سنتين كاملتين قام خلالهما بالاتصال بالشخصيات العربية والبريطانية والقاء المحاضرات والخطب في الاجتماعات والمهرجانات العامة .

من آثاره القلمية : ونشر « مجلس تعزيز التفاهم البريطاني ـ العربي » بلندن كتابين من تصنيف الاستاذ المزاوي ، الاول عن وعد بلفور والثاني عن قضية اللاجئين الفلسطينيين ، ووزع الكتابان على نطاق واسع ولقيا استحسانا كبيرا . وقد كتب المؤرخ والفيلسوف البريطاني المعروف « ارنولد توينبي عن الكتاب الخاص باللاجئين الفلسطينيين يقول : « ان كتاب الاستاذ المزاوي احسن واقوى بيان قرأته عن وجهة النظر العربية في هذه القضية » .

ومن الادلة على تأهب الاستاذ المزاوي في الدفاع عن العروبة والاسلام ان صحيفة التايمز اللندنية نشرت في عددها المؤرخ في ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ مقالا تضمن تجريحا للاسلام وتشهيرا بالمسلمين وفي ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ نشرت هذه الصحيفة كلمة دفاع واحتجاج شديدة اللهجة بقلم الاستاذ المزاوي وتلتها رسائل اخرى من هيئات اسلامية في بريطانيا ومظاهرة قام بها المسلمون في بريطانيا احتجاجا على المقال المغرض ، وحريق اضرمه الطلبة في احدى المدن بالباكستان بمكتبة المعهد البريطاني هناك تعبيرا عن سخطهم على ذلك المقال ، كما صدرت مقالات عنيفة في مختلف الاقطار العربية والاسلامية احتجاجا على المقال الذي نشرته صحيفة التايمس ، فاضطر السفير البريطاني في الهند الى الاعتذار عن هذا المقال .

وفي اغسطس (آب) ١٩٦٩ اشترك الاستاذ المزاوي في مؤتمر عقدته منظمات الصليب الاحمر الدولية في استانبول كمستشار قانوني لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني وعرض على المؤتمر طلب جمعية الهلال الانتساب اليه ، وبعد جهد قبل ذلك المؤتمر رئيس الجمعية كمراقب في المنظمة الدولية ، وكان هذا أول اعتراف دولي عام بكيان مستقل لهيئة فلسطينية .

نموذج من نثره : للاستاذ المزاوي في كل اسبوع حديث طريف يرسله من القسم العربي في محطة الاذاعة البريطانية عنوانه « البرلمان البريطاني في اسبوع » وفيه شرح لاعمال البرلمان وتعليق على الشؤون البرلمانية والسياسية عامة ، بالاضافة الى حديث اسبوعي آخر بعنوان « خمس دقائق » عن القانون البريطاني . ودونك نماذج من نثره :

« ان الدور الذي يجب أن يؤديه القانون الدولي في مجال العلاقات بين الدول هو نفس الدور الذي للقانون العادي بشأن العلاقات بين الافراد في المجتمعات صغيرها وكبيرها. فالقانون يجب ان يحقق العدل للجميع ويؤمن النظام والامن والاستقرار ، فهل حقق القانون الدولي هذه الغاية ؟ ان قيام حربين عالميتين خلال القرن الحالي واشتعال نار الحرب في الشرق الاوسط بعد فشل محاولات طويلة لاقرار حقوق العرب في فلسطين دلائل للكثير من الناس وللامة العربية خاصة على ان في القانون الدولي خللا وانه لعاجز عن الوصول الى الغاية المتوخاة منه ! »

« ان وجهة النظر العربية لم تعط حقها من العناية والاهتمام في الصحف والمجلات في بريطانيا ، بينما وجهة النظر الاسرائيلية قد ظهرت بقالب مستساغ وجذاب ... وفي الاجتماعات والمهرجانات العامة طغت وجهة النظر الاسرائيلية وسرح انصار اسرائيل ومرحوا في غير مقاومة تذكر . ومن امثلة ذلك انني تكلمت في مهرجان كبير لثماني جامعات بريطانية في مدينة نوريش وقد انتدبت السفارة الاسرائيلية اثنين من المتحدثين وكنت انا وحدي امثل وجهة النظر العربية ، وقد أخبرني القائمون على أمر المهرجان انهم اتصلوا بجميع السفارات العربية هنا ولكنهم لم يوفقوا في الحصول على متحدث ، بينما السفارة الاسرائيلية استجابت لطلبهم فورا . وفي جامعة في شمال بريطانيا دارت مناقشة حول مشكلة الشرق الاوسط ، وقد مثل سفارة اسرائيل متحدثان بينما لم تقدم السفارات العربية احدا ، وقد روى لي مسؤول من جامعة « كيل » انهم عقدوا اجتماعا كبيرا قبل اسبوعين حول النزاع العربي الاسرائيلي وسعوا اربعة ايام متواصلة للحصول على متحدث عربي فلم يوفقوا الى ذلك بينما بعث الاسرائيليون باثنين من المتحدثين، وهذا في رأيي تقصير من الدول العربية لا مبرر له ، ففي بريطانيا عدد لا يستهان به من الطلبة العرب وغيرهم ، وفي الوسع تنسيق جهودهم والافادة منهم في توعية الرأي العام البريطاني عن قضايانا » .

« ان من واجب بريطانيا ، بصفتها عضوا في الامم المتحدة وبوصفها الدولة التي خلقت المشكلة من أساسها بوعد بلفور المشؤوم ان تتصرف بجرأة اكثر وتبدي رأيها بامانة وبلا لف ودوران في مختلف اوجه النزاع العربي الاسرائيلي . وفيما يختص بقنال السويس فان بريطانيا تستهدف كل شهر لخسارة اكثر من عشرين مليون جنيه استرليني ، واسرائيل المسؤول الاول عن اغلاق القنال واستمرار اغلاقها ، فلماذا لا تحتج بريطانيا ضد اسرائيل ؟ تذكرون عندما أمم

الرئيس جمال عبد الناصر القنال سنة ١٩٥٦ لم تكتف الحكومة البريطانية بالاحتجاج بل حاولت احتلال مصر عسكريا ، اما الآن فبريطانيا لا تنبس ببنت شفة !

وفيما يتعلق باللاجئين العرب الذين شردوا من ديارهم في حزيران ١٩٦٧ فان على بريطانيا ان تضغط على اسرائيل لتفتح ابواب العودة لهم ... وعندما قصد مستر ويلسون رئيس وزراء بريطانيا موسكو طلب اليه زعماء الهيئات اليهودية في بريطانيا ان يبحث مع السلطات السوفيتية احوال الجالية اليهودية في الاتحاد السوفيتي وكنت اتمنى لو ان مستر ويلسون اغتنم هذه المناسبة وذكر قادة الجالية اليهودية في بريطانيا والوزراء الاسرائيليين الذين زاروه بان للاجئين العرب كذلك حقوقا يجب عدم التغاضي عنها ، وان منعهم من العودة الى ديارهم جريمة نكراء بحق الانسانية جمعاء ! » .

٤ ـ موسى علي الفول

كان شعاره منذ وعى مأساة فلسطين وعاش احداثها المروعة :

« لن يموت شعب يدافع عن اصالته وقوميته ، ولن تفنى أمة آمنت بحقها في الحياة والكرامة والحرية . لا ... لن يقع ذلك ولو طوقت يد الشر والطاغوت خصر الثورة ، وارادت أن تعتصر روحها ، او تفرغها من جوهرها ! » .

ولد « موسى » في بلدة سلوان جارة بيت المقدس سنة ١٩٢٠ ، وتلقى تعليمه الابتدائي في كلية روضة المعارف الوطنية بالقدس ، وتخرج في الكلية العربية بالقدس سنة ١٩٣٩ وحصل على شهادة الانتر ميديت سنة ١٩٤١ وعلى شهادة المعلمين الاعلى سنة ١٩٤٧ وشهادة انتر ميديت لندن في الاقتصاد سنة ١٩٥٢ ، وعمل معلما في مدارس اميرية بفلسطين (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وموظفا في دائرة المهاجرة والسفر (١٩٤٥ ـ ١٩٤٨) وبعد النكبة العربية الفلسطينية ادار شركة تجارية بعمان (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) فمدرسا في كلية الحسين ومديرا لمعهد العلوم الاسلامية بعمان (١٩٤٩ ـ ١٩٥٢) فمفتشا للمعارف معارا لليونسكو في وزارة التربية والتعليم الاردنية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) وما لبث ان انصرف بكليته الى القطاع الاقتصادي وشغل المراكز التالية :

أ ـ مديرا مساعدا للبنك العربي في عمان (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) وفي الخرطوم بالسودان (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) .

ب ـ مديرا لبنك الرياض في الدمام بالسعودية (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) وفي مكة المكرمة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) .

ج ـ مديرا لبنك الاردن في عمان منذ تأسيسه (١٩٦٠ ـ ١٩٦٥) فمساعدا للمدير العام .

د ـ مديرا للبنك العقاري العربي في عمان (١٩٦٦ حتى الآن) .

من آثاره القلمية : عالج « موسى » في مقالات نشرها في طائفة من الصحف الفلسطينية الاردنية موضوعات في التربية والتاريخ والريف كما صنف كتبا مدرسية للصفوف الاعدادية والثانوية عرفنا منها :

أ ـ الاساس في التربية الوطنية (بالاشتراك مع الاستاذين ذوقان الهنداوي وفايز الفول) صدر سنة ١٩٥٤ .

ب ـ الجغرافية الاقتصادية للصفوف الثانوية (بالاشتراك مع الاساتذة ذوقان الهنداوي ، سالم الخوري ، ابراهيم الحباشنة) صدر سنة ١٩٥٤ .

ج ـ الجغرافية العامة للتوجيهي (بالاشتراك مع الاستاذ حسني فريز) صدر سنة ١٩٦١ .

د ـ الجغرافية العامة للاعدادي (بالاشتراك مع الدكتور عباس الكرد وطاهر النمري وعبد المحسن جابر) صدر سنة ١٩٦٦ .

نموذج من نثره : « الجهاز المدرسي معمل لانتاج المواطنين تمثل فيه المدرسة البوتقة ، ويمثل الطلاب المادة الخام ، ويقوم المعلم بالدور الفني من صهر وتشكيل حسب المطلوب لذلك كان المعلم أهم عناصر الجهاز المدرسي وكان يتوقف على اخلاصه واستعداده للقيام بمهمته مدى نجاح عملية انتاج المواطنين . فليس يصلح للتعليم من لا يعرف اصول التربية وفن التدريس او من يرى انه يعدد اياما ويقبض راتبا ، وليس يصلح لتثقيف النشء من يعتقد ان مهمته تنتهي عند دق الجرس ، او من يعتقد انه يشتغل لمهنة التعليم لاعالة نفسه وان عليه ان يهتم بنفسه قبل الاهتمام بغيره . ولا يعد ناجحا المعلم الذي يعالج عجينته الحساسة بنوع من الاحتقار والسخرية او يسلق طلابه بالسنة حداد .

أليس بيننا الكثيرون ممن لا يحبون ان يسمعوا كلمة واحدة عن المدرسة والتدريس بعد دق جرس الحصة الاخيرة في يومهم المدرسي ؟ وكذلك أليس بيننا من لا يجدون بينهم حديثا سوى مدرستهم وطلابهم واختباراتهم حتى صار يقال « مثل المعلمين ليس لهم حديث سوى المدرسة والطلاب » ولكن .. هل ينقطع الحديث عن الدرجات والترقيات؟ لا ... فالمعلم شخص مرهق راتبه اقل من جهة ، وليس له احيانا ما ينفس به عن نفسه سوى التهكم على الطلاب وفي ذلك خروج على فن التدريس وعن قصد السبيل مما يجعل الكثيرين غير صالحين للاعتناء باطفال الامة اذ لا نريد محو الامية فحسب بل نريد تهذيبا ورفعا للمستوى الخلقي والنفسي . وقد آمن المسؤولون في جميع بلاد العالم بان المعلم يجب ان يكرم ويجب ان يشعر بانه مقدر وانه ينال تعويضا لائقا عن تضحيته في اختيار هذه المهنة الشاقة . لانه مسؤول عن خلق جيل نافع لغيره ولنفسه يقدر جمال الكون ويعمل لخير الانسانية ، وهو عمل لا يستطيع أن يقوم به معلمون غارقون في الديون أو لا يشعرون بتقدير سام في المجتمع اذ ان فاقد الشيء لا يعطيه .

فمن حق المعلم والمعلمة ان يتبوءا مركزيهما في المجتمع وان يشعرا بذلك ومن حق الامة عليهما ان يكونا أهلا لذلك التقدير والاحترام المادي والادبي .

سمعتم الكثير وطالعتم الكثير عن واجبات المعلم في الصف ووسائل اعداد درسه وطريقة الاعداد تمشيا مع اهداف التربية وسمعتم عن التجارب الحديثة في علم النفس التربوي والتعليم الجديد وستسمعون عن ادارة الصف ومركز المعلم بالنسبة للصحة المدرسية والقروية وهي امور كلها ذات قيمة بالنسبة للمعلم ولكنها تبقى نظرية اذا لم تعرف كيف نستفيد منها في تنشيط المجتمع ومحاولة ايجاد النواحي العملية ستكون بمثابة اجوبة لكثير من الاسئلة التي سألتموها لزملائي الذين سبقوني في التحدث اليكم مثل السؤال عن مبلغ تعاون البيت مع المدرسة وعدم هدم البيت ما تبنيه المدرسة وعلاقة المواضيع المدرسية ببعضها البعض .

ان مساهمة المعلم الفعالة في هذا المضمار تكون الحسنة والاخلاص في الارشاد والتوجيه ، وهي مطاطة سنفهمها عند بحث نواحي النشاط المدرسي .

اما الطالب فان اثره في تنشيط المجتمع مستمد من اثر المدرسة والمعلم فيه ومن مقدار ما حبب اليه من مثل ومبادىء وطرق نافعة له ولغيره في الحياة .

نحن في مدرسة القرية وقد سلمنا بوجوب جعل التعليم اعداد للحياة وان للتربية اهدافا نطلبها ، وان علينا ان نفكر ولو قليلا في ما سنعمله غدا وان علينا خلق مشاكل بسيطة للطالب نتعاون واياه على حلها وان للمعلم رسالة يؤمن بها ، كل هذا يجري في غرفة الدرس ، ونحن اذ نخرج للعمل في مجالات القرية لا نخرج عن هذه القواعد ولكننا نستعمل طرقا غير التي نسير بها داخل جدران المدرسة ... لدينا حديقة المدرسة ، شكل القرية وتربتها . ومضافتها وجامعها من الاشياء الموجودة ، ولدينا المحاضرات والكشافة والاندية والمكتبة والمعارض والرحلات مما يجب علينا ايجادها ولدينا فوق كل ذلك مواسم واعياد خاصة وعامة .

فحديقة المدرسة لا تجعلها وسيلة ايضاح ، او حديقة زهور تشتغل

يـا ابا المحـاسن

تحية الى استاذي الدكتور زكي المحاسني بمناسبة احالته على المعاش

أأقـول أذكـره ، وهـل ينسى ... مــن أنشـأ الالبـاب والنفسا
واذا عرفـت صنيعـه فذكرتـه ... فالمـرء يـدرك ذاتـه حسـا
قد كان ذا روض ، وكنت شجيرة ... فاسأل بربـك مـن سقى الغرسا
ان الزمان اذا أشار الـى امرىء ... يومـا باصبـع مـادح همسـا
فلسوف يهتـف معليـا أستاذه ... ويمدهـن ـ مصافحـا ـ خمسا
لـولا المعلـم ، ما عرفت حقيقة ، ... ولظـل ايماني بهـا حـدسـا

لله أنت ، أبا المحاسن كـم زكت ... فيـك المحـاسن وانتشت أنسـا
عشقتك كل فضيلة ، وعشقتها ، ... فخطبتها ـ ترضي الهوى ـ عرسا
ومهرتهـا الآداب تزهـر جنـة ... مهـر العذارى لـم يكـن وكسا

فيها وحدك امام الطلاب او تشغل فيها عاملا آخر ، بل استغلها في تشغيل الطلاب وايجاد العمل اللازم لهم وبذلك تعوض على الكثيرين منهم ما فقدوه من وسائل اشغال انفسهم بالطرق المفيدة بعد المدرسة. كل طالب يزرع مع فريقه قسمهم الخاص ويشرف عليه ، انه يشعر بالملكية ، انه يشعر ان الماء ليس من حقه وحده فتضعف انانيته ، انه يشعر ان جمال الحديقة كلها مرتبط بجمال قسمه ، انه يبدأ لا شعوريا يقدر قيمة عمله الطيب في صلاح مجموعة اعمال من حوله هذه الحديقة وقفا على الطلاب وحدهم ، افسح المجال لاهل القرية بزيارتها والتمتع بجلسة هادئة فيها ، حضر اماكن لجلوس الناس وساحات مكشوفة بين الاشجار ، اطلب الى الناس زيارتها في اوقات فراغهم واثناء المناسبات التي تقام في المدرسة كالمحاضرات والمعارض وغيرها .

ولعلك تقول ... زيارة واحدة من الناس لحديقة المدرسة لا تبقى فيها فولة ولا زهر ولا حبة مشمش ولا خسة او زهرة قرنبيط .

نعين للمدرسة حارسا ولا يحميها فكيف بالله عليك نسمح للناس ان يجوسوا خلالها ولعل مجيبا يقول نعلق لافتات نكتب عليها ممنوع الاعتداء على موجودات الحديقة او نعين لها حارسا او الخ لا هذا ولا ذاك فالامر ايسر مما تظنون ... اجعل دعوة الناس بوساطة ابنائهم الطلاب واجعل كل طالب دليل اهله وبذلك تحل المشكلة ، فالطالب مدفوعا بحس الملكية والحرص على سلامة قطعته لن يسمح لاهله بالتعرض لموجودات قسمه ، وترى الاهل انفسهم يتعصبون لا شعوريا لقطعة ولدهم ويحرصون على سلامتها وهكذا تحقق اغراضا كثيرة تجعل الاهالي يشعرون ان المدرسة منهم واليهم وتجعلهم يشعرون بواجبهم في احترام حق الغير ، وتقدير المعلم دون وعظ او ارشاد وقد يتبرع بعضهم بعمل سور للحديقة خوفا من اعتداء الحيوانات عليها ، واخر يهديها اشتالا جديدة او يعمل للحديقة مقاعد حجرية الخ .

لا تحاول ان تجعل الحديقة مستنبتا للتجارب بحسب ولا تجعل منها كذلك مجرد حقل للانتاج التجاري ، بل نم الحس التجاري بين الطلاب بحيث تعمل سجلا فيه صفحة خاصة بقطعة كل فريق تظهر فيها مبيعات تلك القطعة ونم فيهم حب الخير والتبرع لمصلحة المجموع بان تصرف اثمان مبيعات الحديقة في ما يعود على المدرسة بالنفع وعلى الطلاب بالفائدة كشراء الكتب وعمل المعرشات وشراء الاغراس وغير ذلك مع ملاحظة اشعار الطلاب بوجوه الصرف ولا تمنع الطلاب من الاستفادة الانية من الحديقة كاكل خسة او لعق قليل من العسل لان طباخ السم كما يقولون يذوقه .

بهذا تكون قد خلقت للطالب عملا فيه لذة وعلمته دون وعظ او ارشاد ان من جد وجد وان من يزرع يحصد وعلمته احترام الغير دون انانية او حرمان وعلمته الناحية الاقتصادية وكيفية الحصول على المادة وقيمة عمله .

ان شكل الحديقة مربوط بشكل القرية ولعل نوع المنتوجات مقيد بتربتها كان تكون جبلية لا تصلح لغير الحراج والمراعي استغل عيد الشجرة واخرج بطلابك كل سنة وحرجوا جبلا او بقعة خاصة واعلموا دائرة الحراج لتتولى حراستها من الحيوانات الاهلية .

لعلكم الآن قد لمستم دون وعظ او ارشاد او تلقين الغاية التي ترمي اليها وبعض وسائل تحقيقها فهي غاية واضحة لا تتعدى المساهمة الفعلية في اصلاح المجتمع عن طريق القدوة الصالحة والمساعدة على تغيير المفاهيم لا عن طريق الوعظ والارشاد . لذلك لن اتعرض في بحث الكشافة والاندية والمحاضرات الى الانظمة اللازمة للغايات النبيلة التي تؤديها هذه العناصر فان لك متيسر في الكتب التي تبحث فيها بل ساكتفي بذكر بعض الوسائل التي تجعل هذه المجالات فعالة محبوبة لدى الناس ليقبلوا عليها وتعم منها الفائدة .

فمضافة القرية مكان للتحدث في شتى الشؤون والمواضيع تردد عليها كثيرا وكلما سنحت لك فرصة أدر دفة الحديث من لغو القول الى ما يهمك الوصول اليه مما ينطبق والرسالة التي تحملها نحو اصلاح المجتمع اختر موضوع البحث قبل الذهاب للمضافة او الساحة اختر مشكلة من مشاكل المجتمع وحضر لها اسئلة في مخيلتك اطرحها على الحضور واسمع لهم وناقشهم ثم اجمل اراءهم وقرر النتيجة وارشدهم الى الطريقة التي يؤمنون معهم بصلاحها لحل تلك المشكلة استغل هذه الاجتماعات للتعرف على آباء الطلاب وللتعاون معهم على حل مشاكل الطلاب اجعلهم يثقون بك بان تشككهم في اساليب تربية ابنائهم في البيت بحيث يطلبون اليك ان ترشدهم الى الوسائل الفعالة قل لهم سأحدثكم يوم كذا على ان تخبروا الناس بالحضور لقاعة المدرسة او الجامع بعد الصلاة . ثم اخرج عليهم خطيبا متخذا عناصر موضوعك من كتب التربية الموجودة لديك فانت لست اكثر من ناقل ناصح علمهم حقائق تجعلهم يقولون بعد كل عبارة منها : صحيح والله صحيح » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

فافخر بفنك ، انه لحديقة … فاحت شذى ، وتنوعت جنسا
ويحار من تجني الحديقة كفه … أو نرجسا يجني أم الورسا
أم يجمع المنثور من ريحانها ، … أم يجتني عنقودها لمسا
كل امرىء فيما يعاني درسه ، … أتركت فنا لم يكن درسا
واسأل دمشق أفي رباها نبتة … لم تستق منك الندى رغسا (١)
من لم يصخ سمعا لوسوسة الحلى … نهب النفيس ، وقلت لا بأسا
فافض ، ولا تلق اليراع فانني … لأراه أبيض ذلك الطرسا
كتبوا ، وأنت كتبت بعض سطوره … واخالكم لم تملؤوا سدسا
والعلم بحر ما اغترفت يفض جدى … ويسيل من اقلامكم نفسا
ونفوسنا عطشى، وما أزكى الربى … الا السحاب ، تبلها ضرسا (٢)
واذا استرحت مراحلا فلمرجع … ولكم جلست لمرجع حلسا (٣)

ولقد سمعتك تندب الشعر الاصيـ … ـل ، بدت على قسماته بؤسى
لا تخشين على القريض ، فانه … يبقى على أهل النهى حبسا
في السوق ألف قصيدة، وخريدة، … وتباع ، ـ الا هذه ـ بخسا
أعياهم قول الفصيح ففمغموا … وكأنهم نطقوا به خرسا
وأتوا بلحن لا يساغ ، ووزنه … في أن يقاس بشبرهم قيسا
يهذون ، لا ادري ، أكان بحلمهم … هذيانهم ، أم كان ذا مسا
والشعر معنى ، دربه لقلوبنا … أذن ، وتأبى ما نبا جرسا
كالغيد تزهى بالرداء مطرزا … أرأيتها تزهى به طلسا
قد شوهوا الثوب الانيق ، فليتها … تعرى ، وبالاسمال لا تكسى
قالوا التطور ، قلت هذا سنة … أو مصبح من لم يكن أمسى
ان الحياة ، ولا تبدل سنة ، … تعلي اذا ما ارست الأسا
والدهر أحزم لا يحيد قطاره … كانت مطايا ركبه شمسا
ما عاند الايام قط معاند … الا ومرت فوقه دهسا
نحن ابتدأنا بامرىء القيس القريـ … ـض ، فزادوا ، أو أنجبوا قيسا
وعلام نهدم ما بنوه ، ولا نرى … نعلي له الابراج والقوسا
مثل التي غزلت وتنقض غزلها … وأشد حمقا من مشى نكسا
وأضل من يسعى ويحسبه الهدى … من راح يركض لاهثا عكسا

للشعر ، والهة الغرام ، ولا ترى … ـرغم الهوى ـ تعطي الهوى سلسا
لانت ، فأطمع وصلها ، وتمنعت، … فازور عن حلم المنى هجسا
لا أظلم الالحاظ ، تأسى كلما … فتكت ، وربت قاتل يأسى
فتنوا بها ، فتوهموا جنية ، … والانس يفتن بعضها الانسا
عجبا ، أنجحد أنها بدوية … كانت ترود مفازة أمسا
جف الغدير ففربت لمناهل … والماء حيث تسيغه يحسى
وبدت على الشطآن شمس ربوعها … فهفت لربع يطلع الشمسا
حنت ، ونفس الحر تنزع دائما … للدار ، والاوطان لا تنسى
لا تعجبوا أني أتيه بحبها ، … وأميس في برد الهوى ميسا
كانت ، وكنت ، أليفها وأليفتي … نضحي معا أو نلتقي ممسى
ما رحت قط ، أمد زندي نحوها، … الا والقت فوقه رأسا

---

١ ـ الرغس : النماء والخير ، ٢ ـ الضرس : المطر الخفيف ، ٣ ـ الحلس : الملازم .

دمشق … وحيد العطار



كمـال رستم

ادب الاطفال بين الواقع والخيال

بقلم كمـال رستم

* * *

في ظني أن الكتابة للاطفال ستظل في مصر وفي غيرهـا من البلاد العربية من المواضيع التـي يطول فيهـا النقاش شأنها شأن كل المواضيع التي تتنازعهـا وجهتان للنظـر مختلفتان . لذلك لم ادهش كثيرا حينما اطلعت في عدد شهر سبتمبر من « الاديب » الاغر على مقــال « رباب وادب الاطفال » للدكتور محمد رجب البيومي الذي يعيد فيه طرح الموضوع من جديد .

ولقد سبق ان اثير هذا الموضوع منذ وقت غيــر بعيد على صفحات بعض الصحف وعلى شاشة التلفزيون العربي ، وابديت وقتذاك رأيي فيه لسببين :

الاول ، اني اتيح لي اطلاع متواضع على بعض كتب ادب الاطفال وبعض نماذجه العالمية ـ والثاني ، انني الفت عددا لا بأس به من تمثيليات الاطفال التي اذيعت من ركن الطفل باذاعة الجمهورية العربية المتحدة . وكـان المحـور الذي دار حوله النقاش اذ ذاك هـو : هل نقدم الواقع للطفل ، ام نقدم له الخيال وكان مـــن راي فريق مـــن المشتركين في النقاش أن نقدم الواقع للطفل بينمـا راى فريق آخر ان نقدم له الخيال ، وكنت مع القائلين بهـذا الرأي الاخير الذي تضمنه مقالي « راي فـــي ازمة ادب الاطفال » المنشور بمجلة « الفن الاذاعي » التي تصدرها اذاعة الجمهورية العربية المتحدة بعددها رقم ٥١ الصادر في شهر ابريل سنة ١٩٧٠ .

واذا كان الدكتور محمد رجب البيومي يتبنى وجهة النظر التي تقول بتقديم الواقع للطفل فسوف استأذنه في ايضاح وجهة نظري في شيء من الايجاز ولــه ان شاء مزيدا من التفاصيل أن يرجع الى مقالي سالف الذكـر .

واود ابتداء ان اعترف للدكتور الفاضل بأنـي اتفق معـه تماما في كل ما جاء بالشطر الاول من مقاله الذي نبه فيه الى خطورة غمر الاسواق بقصص للاطفال لا يتوافر على كتابتها المتخصصون والدارسون والى ضرورة الحد مـن نشاط بعض المطابع ودور النشر التي تتخذ مـن قصص الاطفال سلعة رائجة لا تبغي مـــن ورائها الا الربح وان عادت على اطفالنا بأبلغ الضرر وهذا ما سمعت ان الجهات المسؤولة ستعمل على تلافيه .

واذا كانت مسؤولية الفوضى المتفشية في هـذا اللون من الادب لا تقتصر على دور النشر وحدها بل تقـع كذلك على كاهل مراقبات الاطفال في الاذاعة والتلفزيون فان المأمول ان يعمل اتحاد الاذاعة والتلفزيون الذي تقرر انشاؤه مؤخرا على تدارك الاخطاء التي لا تخفى على احد ليس فقط في القصص والتمثيليات بل في برامج الاطفال بكافة فقراتها ، كما ان في تصورنا ان الاتحاد سوف يطهر جو الاذاعة والتلفزيون من الادعيـــاء والمتنفعين الذيـن يسدون المنافذ على الدارسين والموهوبين الذين يمكن ان تتطور البرامج علـى ايديهم بفضل جهودهم المخلصـة ونواياهم الطيبة .

الى هنا كما قدمت ، اشعر بأنني متفق تماما مـع الدكتور الفاضل فأنا مثله اعاني من صعوبة الاهتداء الى الناشر الواعي الدارس ـ غير التاجـر ـ الـذي يمكن ان اقدم له العديد من القصص والتمثيليات التي اذيعت لي من اذاعة الجمهورية العربية المتحدة بل أن الامر بالقياس الي قد تجاوز دور النشر الى الاذاعة ذاتها بعد أن اتسعت شقة الخلاف بيني وبين المسؤولين في ركن الطفل حتـى توقفت نهائيا عن الكتابة له لاسباب ليس اقلهـا شأنـا المعاملة غير الكريمة التي يلقاها « اولئك الذين يجازفون بالكتابة للاطفال » كحد تعبير الدكتورة لطيفـة الزيات المديرة السابقة لمركز ثقافة الطفل .

اما بعد ذلك فأني اختلف مع الدكتور الفاضل فـي كل ما قاله ابتداء من قوله « لقد حسبوا ـ يقصد مـن اسماهم بالادعياء ـ ان الخيال لا ينمو لدى الطفل الا عن طريق الغرابة في الاحداث والروعة في المفاجئات والمبالغة في الاخطار فعمدوا الى المترجمات المخيفة التي تتحدث عن الوحوش والغيلان .. الخ » الـى قولـه « ان قصص البطولة الحقيقية لا تكون فـي حيوات الاسكندر ونابليون وقيصر وامثالهم ممن سيروا الوحوش الى دمار الانسانية

وراء انانية مريضة تود الاستعلاء الكاذب على دماء القتلى واشلاء الشهداء .. الخ » ، مرورا بقوله « أليس في قصص المروءة والنجدة وغوث اللهيف ما يخلق اجيالا وامما تدعو الى الخير وتنشد السلام » .

اما الخيال فهو جوهر الكتابة للاطفال ، وكاتب الاطفال الحق هو « الكاتب الذي وهب عقلية الطفل اي العقلية الخصبة المحلقة التي لا تقف عند حدود الواقع والمنطق الجامدين ، ويكفي ان نتأمل اية قصة للاطفال ونقيسها بمقاييسنا لكي نحكم عليها بالاغراق في الخيال والاغراب في الشطط ، والخطأ هنا يكمن في اننا لم نحاول ان نتعرف على عقلية الطفل وبالتالي لم نحاول ان نقترب من الموضوعات التي تشد انتباهه وتثير خياله ، ومن هذا الخطأ تنطلق الاتهامات التي تدفع الكتاب الذين تصدوا للكتابة للاطفال بالمبالغة والتهويل والاغراق في الخيال مع ان هذه الصفات عينها هي الصفات التي يجب توافرها في الكاتب لكي يصبح كاتبا مجيدا للاطفال» (١).

واما اعتراض الدكتور الفاضل على الوحوش والفيلان فقد قلت في الرد على مثيريه « ان ما يؤخذ على كتاب الاطفال من لجوئهم الى بساط الريح وخاتم سليمان والقزم والحورية وحورية الماء والجن والشيطان والغول والتنين والبطل .. الخ هو في الحقيقة اعتراض على العناصر الاولية التي تتألف منها قصة الاطفال ، فلا قصة للاطفال تخلو من احد هذه العناصر ، وتكفي نظرة واحدة الى قصص الاطفال في اي لغة من لغات العالم للتحقق من ان هذه العناصر تشكل قاسما مشتركا بينها » .

يقول ملتون راجاف عن القصص التي تعتمد على هذه العناصر « وهذه القصص تعتمد اساسا على الخوارق ، فالعوائق تزول والعقل ينعزل والمنطق يتخلف ان هذه القصص تحتاج الى السحر ، فالابسطة تطير والطيور ترجم بالغيب والطواقي تمنح الاخفاء ومفارش المائدة تقدم الطعام ، والحقائب تحتوي على الريح ، والمرايا تقول الحقيقة ، والامشاط لها قوى سحرية ، والاوز تضع بيضا ذهبيا والموتى يبعثون والكلمات تقال ثلاث مرات فتعمل المعجزات والمصابيح تدعو الجن والجن يدعون اي شيء يهفو له القلب (٢) » ، وتقول كاتبة امريكية من كتاب قصص الاطفال ان جيل الاطفال القارىء لبساط الريح والخاتم المسحور ولعالم الجن .. الخ هو الجيل الذي ابتكر الصاروخ وسفن الفضاء ، وما كانت هذه الابتكارات الفذة لتتحقق ما لم يتوافر لها مسبقا خيال خلاق .

ويعترض الدكتور على تقديم سير مشاهير التاريخ من امثال الاسكندر ونابليون وقيصر .. للاطفال للاسباب التي ذكرها ، ومع انني لا اعلم بل ولا اتصور ان امثال هذه السير تقدم للاطفال الصغار من الاذاعة والتلفزيون ، فانني لا اجد ضررا من تقديمها لجماعة الاطفال التي يمكن ان تتقبل هذه السير التي تدخل ضمن مناهج الدراسة التي يتلقونها في مدارسهم ، ويبدو ان الامر التبس على الدكتور الفاضل فلم يفرق بين ما يعرف « ببرامج الاطفال داخل المدرسة » « وبرامج الاطفال خارج المدرسة » وهي ما ارجو ان اتناولها بالتفصيل في مقال قادم . ففي البرامج الاولى يمكن تقديم هذه السير واشباهها بل يجب تقديمها باعتبار ان اصحابها رجال دخلوا التاريخ من اوسع ابوابه ، والبرامج هنا جزء متمم لما يتلقاه التلميذ في محجرة الدراسة فأن طالبنا بمنع اذاعتها جازت المطالبة بحذف الفصول التي تتناول سير هؤلاء المشاهير من كتب التاريخ .. وهذا غير معقول ..

ويشفق الدكتور على اطفالنا من استماعهم او مشاهدتهم لبعض التمثيليات التي تدور فكرتها حول الجريمة والعنف والجنس وانا اطمئنه بأن هذا الموضوع قتل بحثا في الخارج واستقرت قوانين الاذاعة والتلفزيون في العالم اجمع على ان « عرض هذا الجزء من العالم يساعد الطفل على التعرف على الوسط الاجتماعي المحيط به والذي سيواجهه ويتعامل معه في المستقبل » (٣) .

ويتساءل الدكتور قائلا : اليس في قصص المروءة والنجدة وغوث اللهيف ما يخلق اجيالا وامما تدعو الى الخير وتنشد السلام . ولا اعتراض لنا على هذه الاهداف النبيلة بل انها الافكار الرئيسية التي تدور حولها كل قصص الاطفال سواء كانت قصص تنانين وغيلان ام قصص آدميين وحيوانات ... كل ما في الامر ان الدكتور الفاضل يريد من كتاب قصص الاطفال ان يعرضوا هذه الافكار بطريقة مباشرة بينما ارى ان هذه هي أسوأ طريقة لعرض هذه الافكار وهذه ظاهرة استرعت انتباهي اثناء تعاملي مع الاذاعة وكتابتي لها ، وقلت في مقالي المشار اليه بالحرف الواحد :

« وينبغي هنا التفرقة بين مغامرات السوبرمان التي نحبذ أيقاف اذاعتها ونشرها ، وبين قصص الرواد التي أشرنا اليها . فهذه القصص الاخيرة (قصص الفيري والفولكلور) لا تخلو من مضامين جيدة تنطوي على دروس قيمة تدعو للفضائل والقيم الانسانية العليا عن طريق غير مباشر ، ولا يفوتنا بهذه المناسبة ان نذكر الفارق بين ما اعتدنا ان نقدمه لاطفالنا من قصص مباشرة تثقل حركتها العبارات المسجوعة ويركز فيها صراحة على مضمون القصة والمعنى المستخلص منها وبين ما يقدم للاطفال في الخارج من قصص تعتمد على التلميح دون الالتجاء الى الوعظ والارشاد وهو فارق مهم جدا يجب

---

١ ـ كمال رستم : ازمة ادب الاطفال ـ مجلة الفن الاذاعي ـ العدد ٥١ الصادر في أبريل سنة ١٩٧٠ .

٢ ـ المصدر السابق .

٣ ـ برامج الاطفالفي الاذاعة والتلفزيون مقال للكاتب تحتالطبع.

صرنا اضحوكة

تطاول ليلي فلم ارقد ... كأني أنام على موقد
افكر فيما مضى وانقضى ... افكر في أجلي والغد
وما قد لقيت من المزعجات ... وما سوف ألقى من المجهد
ولاد عذاب وعيش عذاب ... وكل حياتي فؤاد صدى
أهف الى عاليات الامور ... واسعى الى بين المقصد
أحلق سفسافها بثة ... وامشي مع المجد للموعد
شغلت فؤادي بكل عظيم ... وحلقت في عالمي الابعد
ونكبت عن عشرة الارديا ء ... وعن اجنبي الهوى مفسد
وكرست نفسي لحب بلادي ... فلم ألق بالا الى حسدي
تغلغل في خاطري حبها ... وقاسمني طيفها مرقدي

وان العروبة بنت السماء ... وحصن من الشرف الامجد
رمتها الليالي بأحداثها ... فضل بنوها صوى السؤدد
تعادوا لاجل نتين الحطام ... وضلوا عن المهيع المرصد
فصرنا بذي الكون اضحوكة ... لكل ربيب الخنى ، تعدد
وان الصهاين جازوا المدى ... وسادوا حمانا ولم نهتد
وفي الصبر اما تمادى ممات ... يطمع في عرضنا المعتدي

أما حان ان تجمعوا امركم ... وان تتلاقوا على موعد
اما ظمئت للحسام النفوس ... اما حان أوطاننا نفتدي
فقد ضحك الناس من نومنا ... وناح الحياء على الهجد

لاباز — بوليفيا

جورج الكعدي

ان يتوافر المختصون من رجال التربية وعلم النفس عندنا على دراسته لبيان السبب في وجوده » .

وبعد فاننا لكي نستطيع ان نقدم ادبا جيدا للاطفال، لا بد لنا من تأمل ودراسة الكتب العديدة للاطفال التي وضعها رواد هذا الادب من امثال الاخوين جريم وهانز كريستيان آندرسن وشارل بيرو وولتر دي لامار وانطوان جالان ولا بأس ايضا من تأمل ودراسة وتمثل النماذج التي يقدمها كتاب معاصرون من مثل الكاتب الانجليزي المعاصر لويس كليف ستابلز وسواه .

أما الوقوف عند ما قدمه الاساتذة كامل كيلاني ومحمد سعيد العريان والسيد شحاته ومحمد عطية الابراشي كما عددهم الدكتور محمد رجب البيومي فلا يؤدي بنا ابدا الى ما نرجو لهذا الادب من تطور وارتقاء لسبب بسيط وهو ان من اصطلحنا على اعتباره رائدا لادب الاطفال في مصر وهو المرحوم كامل كيلاني لم يكن اكثر من ناقل ومقتبس وممصر لبعض الآثار العالمية .

وما لنا نذهب بعيدا والجائزة التشجيعية لادب الاطفال نالها هذا العام كما نشرت بعض الصحف كاتبان لم يكن لهما من فضل سوى تمصير قصة « ملابس الامبراطور » لهانز كريستيان أندرسن ، ولا ضير من ذلك أطلاقا ما لم يكن الناقلان قد تقدما بهذه القصة المعروفة على انها من تاليفهما وهذا مثال واحد يكشف لنا عن مدى دراية بعض اللجان المتخصصة التي تمنح الجوائز على مستوى الدولة بأدب الاطفال ، وانها لمأساة !

القاهرة

كمال رستم

الموسيقى المغربية الاندلسية

بقلم محمد اديب غالب

* * *

في عام ١٩٦٢ كنت اتصفح وانا بدمشق ، احدى الصحف المغربية الصادرة في مدينة رباط الفتح بالمغرب الاقصى ، فوقع نظري على نص المحاضرة التي كان القاها فضيلة العلامة الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ، بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي العربي يومذاك ، وهي تتعلق بموضوع الموسيقى المغربية المسماة بالاندلسية .

وبعد ان انتهيت من مطالعة المحاضرة المذكورة، واستوعبت ما جاء فيها من علم المحاضر الوسيع ، قلت في نفسي : « والله هذا الرجل لو لم تذكر الصحيفة المغربية اسمه ، لحق للقارىء ان يقول ، ان المحاضرة لابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ الموافق ٨٧٤ - ٩٥٠ م) الفيلسوف ، الحكيم ، الرياضي ، العالم، الموسيقار ، الملقب بارسطو الثاني » .

بل وزاد العلامة المغربي على الفارابي الفيلسوف المعروف بزهده وعلمه ، ان نافسه بنفس الزهد والتواضع الجم الاصيل ، وراح وهو رئيس الجامعة ، والوزير ، والمعلم الاول في المغرب ، ينقل امام سامعيه ، من البراهين والحجج في الايقاعات والانغام مما كان يأخذ بالالباب والعقول ، والتي كانت تؤديها الجوقة الموسيقية المغربية التي استحضرها الى جانبه ، لتعطي الدليل تلو الدليل على سياق المحاضرة الموسيقية ، وما تخللها من تحليل لشتى الانغام التي جاء على ذكرها آنذاك .

ولقد اختتم المحاضر العلامة محاضرته بقوله : «لعلكم الآن بعد استماعكم لمختلف النغمات التي يتركب منها مجموع هذا التراث الفني الفريد ، الذي رغم اجزائه الكثيرة التي ضاعت ، لا يزال لدينا ذخيرة ذات بال تقدرون معي اهميتها ، والذي اريد ان اوجه فيه المشتغلين بالفن الموسيقي في بلادنا ، ولا شك انه سيكون لنشر الثقافة الموسيقية في المدارس والمعاهد الخاصة اثر كبير في احياء روح الابتكار بين الموهوبين » .

ولقد اتضح لي من خلال زيارتي للمغرب ، ان الشعب المغربي في اصالته ، تصاحبه الموسيقى حيث كان ، فهو في صلواته ، يرتل القرآن الكريم ، ترتيلا مفعما بالحنان ، وفي اذكاره التي تقام في المساجد ، والزوايا التي تعد بالالوف ، وفي البيوت ، والبساتين ، فان الزائر لكل هذه الاماكن ، لا بد له ان يستمع الى تجويد الاصوات وترتيلها ، تتعالى بالقراءات الساحرة الخاشعة ، وتطفح بالالحان الرتيبة في الموشحات الاندلسية . كما ان حفلات الزواج ، والموالد النبوية ، والختان ، والمواسم السنوية ، والشهرية ، والاسبوعية التقليدية ، تكاد تمتلىء بالموسيقى ذات النغم الشجي الجميل .

لقد رايت بأم العين هذه الاحتفالات الدينية ، والمناسبات الاجتماعية ، مما حملني على الاعتقاد الصحيح ان الشعب المغربي من اكثر الشعوب حبا للفنون الموسيقية ، وان في المغرب تراثا موسيقيا ،لو جمع بكافة اشعاره من فصيح وملحون (الزجل) وايقاعاته ، والحانه من شتى الموازين والانغام ، لجاء بمميزات كبيرة ، خاصة اذا اضيفت الى ذلك ، تلك الرقصات الشعبية التي تختص كل مدينة وقبيلة بها سواء اكانت تربض على الشاطىء او في اعالي الجبال .

ولقد بلغ من اهتمام رئيس الجامعة ، الوزير الاستاذ محمد الفاسي ، أن قام عام ١٩٦٧ بنشر « اغاني النساء بفاس » وهي مجموعة من رباعيات الغرام التي تتغنى بها النساء . والمسحة الغالبة على هذه الاشعار ، هي الحنان ، والوجد ، وما يقارنها كما يقول المختصون ، باناشيد الغرام اليابانية المدعوة « جيشاس » بل ان هذه الاغاني القديمة الرباعية او « العروبي » كما يطلق عليها ، هي انعكاس للروح الاسلامية المفعمة بروح الايمان ، والتي تمنح الامل وتساعد على تحمل آلام الفرقة والغربة ، وهي تجمع في عمقها بين الفلكلور الخالد ، والكلمة الصافية الجميلة .

ومن غرائب المصادفات انني كنت ذات يوم أزور بعض المكتبات في الرباط ، فوقع نظري على كتاب فرنسي عنوانه « تاريخ الموسيقى » لمؤلفه العلامة اميل فيلرموز فأخذت اقلب صفحاته مستطلعا عناوين فصوله، وشدتني انظاري الى موضوع عن الموسيقى الشرقية . وكم كان سروري يوم رايت هذا العلامة الفربي يقول في الموسيقى الشرقية ، ما لم يقله اكبر اساتذتها العرب حتى الآن . وحيث جاءت أقوال العلامة الفرنسي صاحب التآليف الموسيقية ما يؤكد ، نظرية العلامة الاستاذ محمد الفاسي ، في الموسيقى الاندلسية وما فيها من اشعار ، وايقاعات ، وانغام .

ولعل من الفائدة ان نذكر بعض ما قاله العلامة الفرنسي عن موسيقانا الشرقية ، يقول : « بعد ان مشى الشرق والغرب حينا في طريق واحد ، افترقا ، ليأخذ كل منهما سبيلا مختلفا ، مدفوعين بشهوة الاكتشاف ، والعطش الى الجديد ، والحاجة الى الاتقان . واستنبط الغرب الصيغة المذهلة في تركيب اصوات عدة ، تسمع معا ، وبقي الشرق امينا على فن وحدة النغم ، طالبا من مغنيه ، ومن العازفين على آلاته الموسيقية السعي وراء تجزاة الفاصلة الموسيقية ، لا نهائيا ، مبالغة في التعبير .

وشيد الغرب كتلا راسخة من الموسيقى ، آخذا في نحت درجات السلم الموسيقي السبع نحتا هندسيا ، على غرار حجارة البناء ، وداب على صفها خطا مستقيما ، ومن ثم على تنضيدها ، الواحدة فوق الاخرى ، وفق قوانين انشائية علمية سميت طباقا وتناغما .

لم يفكر الشرق قط ، في نحت الصوت وتربيع زواياه ، فما فتىء يقلده مدا وترقيقا ، حتى لاصبح المرور من احدى العلامات السبع الى جارتها غير محسوس ، كما هي حال المتدرجات ، الجامعة بين الوان قوس القزح السبعة . وعوضا من ان تكسب الموسيقى جمودا، صارت زهوا وسطوعا ، في حدود النغم الناعم الخفيف . فلم تكن ثمة حاجة الى مواد واحدة القياس ، الى بناء طبقتين ، او اربع او ست او عشر طبقات ، بل رضيت بكيانها خيطا حريريا مختلف الالوان ، ينتشر ويتموج شيئا فشيئا ، كل ميليمتر منه مشبع بعالم من العواطف والاحاسيس .

لا يوجد اذن ، قياس مشترك ، بين هذين الفنين ، وهذين المفهومين الموسيقيين . فالشرق الذي يرى السلم الموسيقي انزلاقا دائما ، متلاعبا بارباع واثمان الاصوات ، يجد الفواصل الموسيقية التي اقتطعناها دون رشاقة ، واعتمدناها ، غليظة للغاية . فأرق مؤلفينا الموسيقيين ، بالنسبة اليه ، يشبه عمليا ، ولدا يلهو بجمع مكعبات الخشب ، في لعبة بناء .

ان التضاد الحاصل بين النغم الواحد هذا ، الملون بعذوبة من طرف خفي ، والحاننا المتعددة الاصوات ، الفنية الفاتنة ، غير قابل التضليل . انهما لغتان مختلفتان لا يمكن مقارنتهما ، مهما اجتهدنا في الترجمة ، وقد اوجدتهما حاجة عضوية مشتركة ، هي حاسة السمع التي تميز بين الاسيوي والاوربي ، اكثر ما يفعله شكل العينين ولون البشرة .

ان الموسيقى القائمة على مبدأ اللمس الناعم ، والمس الخفيف ومداعبة النغم الواحد اللطيف ، ما دامت ابوابها موصدة امامنا ، فاللحن ذو الملتويات غير المحسوسة ، الذي ينشده بشهوة الموسيقي الشرقي البارع ، محملا اياه كنزا من المؤثرات ، ومن الشعر التأملي. يبدو لنا مملا، بينما يغدق اللذائذ على مستمعين ذوي آذان اكثر ارهافا من آذاننا . وبالعكس ، ان منشآتنا الموسيقية الاكثر عذوبة ، لا تعني شيئا لشعوب تهيأت وراثيا لادراك لمعان الخط اللحني الواحد الخلاب .

لن نثير اذن باطلا ، قضية رفعة شأن هذا او ذاك من المفهومين . شتان بينهما . لنكتفي باخذ العلم بتناقضهما ، مقدمين وافر الثناء والاحترام للمؤلفين الموسيقيين المبدعين ، الذين مكنتهما هاتين اللغتين المختلفتين ، من كتابة الروائع .

ولا شيء يثبت لنا ، من جهة اخرى ، دوام هذه المنازعة ، فالموسيقى التي تحثها غريزة الفتوحات وتقض مضجعها ، تحطم كل يوم قيدا من قيودها . انها تتمرد ابدا على التقاليد ، وقد ضمت اليها كثيرا من اصوات متنافرة ، حكم عليها بالاجرام ، في الماضي ، وهادنت عبارات قضي عليها بقساوة ، ومنحت جنسية لاساليب غريبة ، رغبة منها بالهرب من سجن المقام الصوتي ، حالمة بقلع حاجز الايقاع ، وان بعضا من المجدين في هذا المضمار ، يتلظون شوقا ، ليكشفوا لنا عن لذة ربع الصوت المجهولة .

ان التقدم على صعيد سرعة المواصلات ، الذي يخفض يوما بعد يوم ، الحواجز القائمة بين المدنيات المختلفة ، ويكثر من التبادل الفني بين الشعوب ، جعل لاسلوبنا الموسيقي سفراء ، في عواصم الشرق ، بينما النخبة الشرقية اخذت تعنى بلغتنا الموسيقية الغربية ، موفدة فنانيها ، لدراسة اسرار هذه اللغة في المعاهد الاوروبية .

ليس من المستحيل ان نتخيل تداخل هذين الفنين في مستقبل قريب ، فيلين عندها مفهومنا للنغم ، وتفتني حاستنا بالالوان بفضل لغة كفيلة بان تمدنا باداة تنقيب قوية ، مدعوة لان تقدم ، لمؤلفينا الموسيقيين ، الخدمات عينها ، التي قدمها لكيميائيينا ولعلمائنا في الفيزياء ، المجهر والتصوير الشمسي الدقيق » .

هذا بعض ما جاء في موضوع الموسيقى الشرقية ، وما فيها من جمال روحي ، يفوق بحاسيته ما يدحض زعم الزاعمين والمتطفلين على موسيقانا الاصيلة . ولا شك ان موسيقانا التي اعتنى علماء الغرب بالبحث عن اصولها ، قد تكلل بعضه بالنجاح ، ومن المفيد ان نعلم ان فن الموسيقى وضعته بادى ذي بدء الامم الشرقية قبل زمان التاريخ . والمظنون انها نظرت الى القوس فوجدتها فيه كما قال الشاعر الشنفري :

هتوف من الملس المتون يزينها ... رصائع قد نيطت اليها ومحمل
اذا زل عنها السهم حنت كانها ... مرزاة ثكلى تئن وتعول

فاشتقت منها جميع ذوات الاوتار على اختلاف انواعها واشكالها ، او كما قال الشاعر العربي :

فالقوس مع انها جماد ... تئن من فرقة السهام

او كما صور الشاعر العربي ايضا ، ما كان غامضا من طبائع الحيوانات ، واتساق عواطفها ومشاعرها ، مع الموسيقى التي تستهوي كل جارحة من جوارح الحياة . وهي في حقيقتها ان دلت على شيء فانما تدل على ان الصور الجمالية التي جاءت في الشعر العربي ، كانت صورا موسيقية على لسان الشاعر القائل :

ان كنت تنكر ان للالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل اللواتي هن اغلظ منك طبعا
يحلو لها نغم الحداء ... فتقطع البيداء قطعا

ومن المعروف ان ذوات الاوتار وذوات النفخ كانت

شفاه اللهب

●

أجب ، أجب ،
يا ثغرها الذهب ،
أأنت من رماد ،
تحيا بلا فؤاد ..
أم أنت من لهب ؟
أجب ، يا ثغرها الذهب ،
يا صخر ، يا جليد ، يا حطب !

يا يدها الكسولة ،
يا انملا جريئة خجوله ،
يا عينها البخيله ،
أفيك من خريف الحزن قطر ؟
أم فيك من ربيع الحب عطر ؟
وثغرك الجميل يا جميله ،
اما أنثنى يحن للطفوله ؟
أجب ، يا ثغرها الذهب ،
يا صخر ، يا جليد ، يا حطب !

يا ثغرها الذهب ،
لي شفة قليلة الادب ،
يلذها ان توقظ الغضب ،
في شفة كثيرة الادب !
لي شفة تحب ان تفجر اللهب ،
على ضفاف الثغر ، ان هو اغتصب ،
تحب ان تحرض السكون ،
وان تثير الموج في جزيرة العيون ..

لي شفة تحب أن تحب ،
لانها لهب ،
لانها لا تعرف الثلوج والحطب !

فوزي عطوي

معروفة قبل الطوفان . وقد ذكر العلامة « تندل » ان الصينيين سبقوا كل الامم الى معرفة الاصول الموسيقية فان سلطانهم « يو » الذي كان قبل السيد المسيح باثنين وعشرين قرنا ، وقر فن الموسيقى ، وحث الناس على درسه فاشتغل به كنفوشيوس فيلسوفهم الاكبر ، وكثيرون من سلاطينهم ، وكان له المقام الاول بين علومهم ، لذلك نجد الاصول الموسيقية مشروحة في اقدم كتبهم شرحا ادق منه في احدث الكتب الاوروبية واوسعها .

ومن اجمل العادات والتقاليد التي ما زالت مرعية حتى اليوم في المغرب ، والتي يحرص كل الناس على رؤيتها ، تلك المجموعات من المنشدين ، التي تغص بهم (اسواق العرب) من ايام الاسبوع ، ويحس سامعها بتأثيرات الموشحات ، وما تحمله من صور حية عن تلك الحضارات التي اقامها العرب في الاندلس ، والتي اثبتت بما لا شك فيه ، فضل العرب في كل ميادين الفنون والعلوم على نهضة اوروبا ، وانتشالها من وهدة الظلمات والجهالة التي كانت تعيش فيها . كما ان اهالي المغرب يميلون بعد الالحان الاندلسية ، للاستماع الى الاغاني المصرية ، وعلى الاخص اغاني كوكب الشرق السيدة ام كلثوم ، واغاني محمد عبد الوهاب القديمة ، ولقد كان المغرب الدولة العربية الوحيدة ، التي حصلت في عام ١٩٦٧ على حق نقل حفلات السيدة ام كلثوم من باريس ، على اجهزتها الاذاعية ، وتغطية تلك الحفلات من الاذاعات المغربية بما يشبه الاعياد والافراح الموسمية .

هذه صورة خاطفة من ايام وذكريات قضيتها ، مع المغرب في آدابه وعلومه وفنونه ، ومن هذه الذكريات الخالدة ، تنتشر امامي قماقم الزهور والعطور ، التي تصب بمائها الزكي في كل حفل يقام ، فيحسب الناظر اليها ان السماء تمطر في اجواء المساجد والزوايا والبيوت ، العطر والنسرين والريحان ، لتختلط بعد ذلك مع رائحة البخور والعود ، وعلى الانغام الموسيقية ، والموشحات الاندلسية الجميلة .

طرابلس ــ لبنان محمد اديب غالب

موسيقى النهايات

الاب يوسف سعيد

عبر الموسيقى
رأيت الغابات في حلمي تصلي
رأيت يـد الملاك
تنتشل أدعية من أرضنا البوار
رأيت اسفنجة تحجب أصداء اليوم
وتبلع خرير المياه .
رأيت الصخور الصلدة تحمل في جوفها الاحمر
دم السنين الطوال

يا زمن زمن الآزال رايتك في ذاتي
لحظـة
لفظـة
قطـرة
ثم ماتت في محاجر عيني
اكثر من نغمة ذاهبة عبر
موسيقى النهايات
عبر ترنيمة الآباد .

ألانني ، ارفض صوت الحناجر
يحيا الموت في وجودية اللغة (الأنا)
يا صدفية البداية
يا نيري الاسود
الطوق ملوي بخشونة
فوق ساق البريء
ولكنك ، كنت الصدى

محلولا في الاثير
ونسيت ، ان الشمس تذيب رصاص الغيد .
وترتدي أصوات حرية الامهات اللائي بكين
نضارة الصوت
في شبابة الرجال

رفع سالم رأسه ، واتكأ بيده على فأسه ، وباليد الاخرى ، اخذ يمسح عرقه .

نظر ناحية الافق ، فرأى زوبعة ترابية ، تقترب نحوه ، وتنمو بسرعة غير عادية .. اراد ان يخبر اخويه لكنه وجدهما منهمكين في عزاف الارض .

عاد يتأمل الزوبعة ، وهي تلتهم الطريق الزراعي .. لقد بدات معالمها تتضح .. ينبغي ان يخبر اخويه :

ــ رمضان .. حسنين .. انظرا هذه العربة ..

اعتدلا فجأة ، وصوبا عيونهما نحو الطريق ، وهما يقولان في لحظة معا :

ــ عربة .؟!. ياه ..!

ــ يبدو انها ليست ملاكي ، ولا اجرة ..!

ــ وليست لوري ايضا ..

ــ يا خبر.. انه «بكس» الحكومة!

ــ بكس الحكومة ؟!.. اللهم اجعله خيرا .

ــ ترى ماذا جرى ؟!!

ــ لم نسمع ان حادثا قد وقع !

ــ وحين خرجنا مع طلوع الشمس كانت القرية في امان الله .

ــ غريبة !

ــ اترغبان في ان اذهب لاستطلع الخبر ؟

ــ لا .. لا داعي لترك العمل ، ولنصبر حتى يأتينا الخبر من تلقاء نفسه .

★

بعد حين ، اقبل عليهم غلام يعدو، وصاح فيهم منذرا :

ــ جميع الرجال والنساء تركوا اعمالهم ، وانتم لا تزالون هنا ؟!

ــ خيرا .. ماذا حدث ؟!

ــ ابوكم يتشاجر مع الحكومة !.

ــ ابونا ؟!

ــ يتشاجر مع الحكومة ؟!

ــ يا ساتر يا رب .. لماذا ؟!

اطل الذعر من عيونهم ، وامتزج القلق بحبات العرق على وجوههم .. خيل اليهم ان الغلام تباطأ في الاجابة على اسئلتهم .. لم يستطيعوا صبرا .. تركوا فئوسهم .. واخذوا يهرولون نحو القرية .. لحق بهم الغلام .. فالتفتوا اليه ، وبلهفة مجنونة ، اعادوا عليه السؤال :

ــ لماذا ؟!

ــ لماذا ؟!

ــ .. من اجل الموتى !

ــ الموتى ؟!

ــ اعوذ بالله .. كيف ؟!

ــ كيف ؟!

ــ لا اعلم شيئا اكثر من ذلك .. الحكومة جاءت في البكس .. وهي الان في دوار العمدة ، واهل القرية

العجوز

بقلم محمد صفوت

هائجون، والخفير قادم لاستدعائكم .

ــ يا حفيظ يا رب .. الحكومة ؟!

العمدة ..؟! الخفير ؟!.. اي مصيبة هذه ؟

نظروا الى بعضهم البعض ، في ذهول وعدم فهم ، وتمتموا :

الموتى ؟!

الموتى ؟!

ــ اللهم الطف بنا يا لطيف !

★

عند مدخل القرية ، التقوا بالخفير ، متوجها لاستدعائهم ...

قصة

توقفوا لاهثين ، وقد اثقل الخوف السنتهم ، فلم تقو على النطق .. وارتسمت اسئلتهم المتوجسة ، في نظراتهم الجزعة ..

ابتدرهم الخفير مزمجرا :

ــ تعالوا .. ضعوا حدا لعناد ابيكم ، والا ، فالسجن سوف يكون مصيره .

ــ السجن ؟!

ــ السجن ؟!

ــ لماذا ؟!

ــ ماذا فعل ابونا ؟!

ــ وقف في وجه الحكومة ، ومنعها من مباشرة اعمالها الرسمية.

ــ كيف ؟!

ــ لماذا ؟!

ــ قل بسرعة ..

ــ يريد ان يظل الموتى داخل قبورهم .

ــ الموتى ؟!

ــ الموتى ؟!

ــ وهل خرجوا من قبورهم ؟!

ــ حالا ، سوف يخرجون .

ــماذا تقول ؟!

ــ سوف يخرجون ؟!

ــ امجنون انت .. ام تحسبنا مجانين ؟!

ــ وضح كلامك .. ارجوك .

ــ استغفر الله العظيم .. انا خائف من غضب الموتى .. ليس من حقي ان اخوض في مثل هذا الكلام .. انا انفذ الاوامر فقط .. رجال الحكومة في دوار العمدة ، ومنهم ، سوف تعلمون كل شيء .

ــ اي كارثة ؟!

ــ فقط ، لو نعرف ؟!

ــ الامر يدعو للجنون !!

★

وصلوا الى الساحة .. وامام دوار العمدة .. هالهم ان يروا اهل القرية متجمهرين بصورةغير مألوفة.

النساء يبكين ، ويندبن موتاهن ، ذوي الحظ التعس !..

الاطفال مستسلمون لوجوم غريب .. لا يلعبون ، ولا يتقافزون حول العربة الحكومية كالعادة !

الرجال منقسمون الى جماعات .. كل جماعة يتوسطها شاب او اكثر من ابناء القرية المتعلمين ..

البعض يستمعون الى احاديث الشبان ، في هدوء تدعمه الرغبة في الفهم ، والبعض يتبادلون معهم نقاشا حادا ، تفوح منه رائحة التمرد والحزن .

ثمة افراد فرحون ، يتحركون هنا وهناك ، في نشاط متوثب .. واخرون ليسوا مع اي من هؤلاء ، قابعون بجوار الجدران ، يلفهم صمت المغلوبين على امرهم .

التقت نظرات الاخوة الثلاثة ، في ذهول صارخ .. ضرب سالم كفا بكف ، وصاح رمضان :

— اني اكاد افقد عقلي !

وفي ياس مرير ، غمغم حسنين :

— بل انا جننت فعلا !.

وفي غيظ مكتوم ، عاد سالم يصرخ :

— الا يوجد من يفهمنا الحقيقة ؟

هم بعض الرجال بالالتفاف حول الاخوة الثلاثة ، فبادر الخفير الى تفريقهم ، مستعينا بشيخ الخفراء .

★

الاخوة الثلاثة ، قادهم شيخ الخفراء الى داخل الدوار ، حيث يجلس العمدة ، ومهندس البلدية ، ومندوبو المحافظة ، ووزارة الاوقاف ، ومصلحة المساحة .. ثم بعض الكبار من اهل القرية .

نظر شيخ الخفراء الى مهندس البلدية ومرافقيه ، واشار بيده الى الاخوة قائلا :

— هؤلاء هم ابناء العجوز .

انفطرت قلوب الاخوة ، لدى رؤيتهم لابيهم متقوقعا على الارض ، في ركن الغرفة ، بينما جميع الحاضرين جالسون على المقاعد والارائك ..

ادرك العمدة ، ما دار في اذهانهم ، فقال موضحا :

— ابوكم هو الذي اصر على جلسته تلك ..

وصمت لحظة ، ثم اردف :

— انه غاضب منا ، ثائر علينا ، دون وجه حق ، فحاولوا انتم اقناعه بالعدول عن ثورته الكاذبة ..

صاح العجوز مقاطعا :

— ثورتي ليست كاذبة .. الحق في جانبي .

التفت اليه العمدة ناهيا :

— من فضلك .. اسكت انت يا حاج عيسوي .. دعني اوضح الامر لابنائك .

قالها ، ثم وجه حديثه للاخوة :

— الموضوع في غاية الوضوح والاهمية .. تعلمون — طبعا — ان القرية في حاجة الى وحدة مجمعة .

— طبعا .. طبعا ..

— نعلم ذلك جيدا .

— حسنا .. المشكلة ان ابيكم لا يريد ان يعلم ..

— كيف ؟

— السيد المحافظ ، اصدر امره بانشاء الوحدة المجمعة .

هدأت انفاس الاخوة ، وزايلهم الخوف ، تاركا اياهم للدهشة ..

قال سالم وهو يجفف عرقه :

— وحدة مجمعة ..؟ في قريتنا ؟ هذا يوم المنى .

تدخل المهندس موضحا اكثر :

— الوحدة المجمعة ، سوف تضم مدرسة ومركزا للشؤون الاجتماعية .. ومستشفى ووحدة بيطرية .

هتف حسنين ، والفرحة تكسو ملامحه :

— يا فرحتنا .. احلامنا سوف تتحقق ، من كان يصدق ؟!

في بله تساءل رمضان :

— ولكننا سمعنا شيئا عن الموتى ، وراعنا تجمهر الرجال ، وبكاء النساء ، حتى خيل الينا ان القيامة توشك ان تقوم .. فما علاقة ابينا بكل ذلك ؟!

شرع العمدة في الاجابة على تساؤل رمضان :

— الرجال يتناقشون في امور ثانوية .. اما النساء ، فهن ناقصات عقل ودين .. وابوكم .. آه .. انا احترم شيخوخة ابيكم ..

صمت العمدة ، فقال مندوب المحافظة :

— ابوكم خائف من غضب الموتى ..

— لم نفهم شيئا بعد .

ضحك مندوب المساحة قائلا :

— الموضوع لم يعد فيه غموض .. الوحدة المجمعة سوف تقام على ارض الجبانة القديمة ، بعد تطهيرها من عظام الموتى .

ران صمت خفيف ، ثم قال الاخوة في نفس واحد :

— آه .. فهمنا .

وبعد لحظة ، قال سالم :

— وابونا ..

فاضاف العمدة :

— ابوكم لا يريد ان نفتح القبور ، لنستخرج منها عظام الموتى .

انتفض الاب فجأة ، وقال في هياج شديد :

— بالله عليكم .. ما ذنب الموتى ، حتى تلاحقوهم بالاذى ، وهم في اخرتهم ؟!.. الا تخافون غضبهم ؟! اليسوا قادرين على الانتقام منا ؟.. ثم .. اليسوا في رحاب الله ؟!.. الا تخشون الله ؟!

— ولكن يا ابي .. اليس الحي ابقى من الميت ؟!

— اسكت يا سالم .. لقد وصفوني باني عجوز مخرف ، فهل تريد ان تقف ضدي انت ايضا ؟

صاح العمدة ، قائلا في ضيق بين :

— يا حاج عيسوي ، انت تعلم جيدا ، ان الجبانة قديمة ، ولم يدخلها ميت واحد منذ اكثر من عشر سنوات .. وسوف ترى بعينيك ، ان ما بها من الموتى ، قد تحولوا الى تراب ، او الى بقايا عظام

على اكثر تقدير .

ـ واذا فرضنا انهم تحولوا جميعا الى تراب ، فهل ننسى انهم اهلنا ، واصلنا الذي جئنا منه الى هذه الدنيا ؟!

في تلعثم قاطعه حسنين :

ـ يا ابي ..

ـ اخرس يا حسنين .. انت واخويك .. اصمتوا ولا تخيبوا املي فيكم .

قذف بكلماته في وجه ابنائه ، ثم عاد يقول :

ـ يقيني ان الموتى لا يتحولون الى عدم ، وان فنيت اجسادهم ، وهم الان ارواح طاهرة ، سابحة في ملكوت الله ، مكشوف عنها الحجاب ، وهي لن تغفر لكم سوء عملكم ..

تململ احد المثقفين في ضجر ، وقال :

ـ يا عم الحاج ، نحن مستعدون لتحمل نتيجة عملنا .

ـ فتلحل عليكم اللعنة ، ولتذهبوا الى الجحيم .. انتم جيل مستهتر .. اما انا ، فاني اقدس ..

اعترضه مندوب الاوقاف بقوله :

ـ يخيل الي انك تتمادى في ثورتك ، مستندا الى علمك بأن ارض الجبانة ، كانت في الاصل ملكا لجدك .. ولكن ينبغي ان تعلم ، انه ما دام قد تبرع بها ، واوقفها لدفن الموتى ، فانها تكون قد خرجت من ملكيته تماما ، وبالتالي ، لا يكون لورثته اي حق فيها .

ـ انا لا ابحث في الملكية او عدمها ، ولكني ارى ان اقل دين نؤديه لجدي ، هو احترام وصيته ، والاحتفاظ بجثته مستقرة في ارضه التي يملكها .. ولو من قبيل العرفان بالجميل .

ـ اعتقد اننا نكون اكثر عرفانا بجميل جدك ، حينما نستغل ارضه في مشروع يخدم الصالح العام ، بدلا من تركها مهملة هكذا .. اننا بذلك نجعله مستحقا لمزيد من النعيم في اخرته .

ـ بل قل انكم سوف تعذبونه ، وتفسدون عليه آخرته ، بنبشه وتهشيم عظامه ، وطرده من ارضه .

زعق به العمدة في غيظ ونفاذ صبر :

ـ يا حاج عيسوي ، انا قلت لك ، اننا ـ بكل حرص ـ سوف ننقل رفاة الموتى الى الجبانة الجديدة .. ثم ندفنها في المقبرة العامة ، بعناية فائقة ..

امسك الحاج عيسوي بلحيته البيضاء ، وقال في مرارة :

ـ اتريدون ان تضحكوا على ذقني هذه ؟!.. كيف سأزور موتاي فيما بعد ؟!.. انني لن اعرف قبرا لجدي ، وآخر لابي .. لن اعرف اخي من ولدي ، ولا اختي من امي وزوجتي .. ثم .. كيف ستجمعون بين النساء والرجال في مقبرة واحدة ؟!

ضرب العمدة قدميه في الارض ، وصرخ بأعلى صوته :

ـ يا حاج عيسوي كفاك تخريفا ، ولا تجعلني اشق ثوبي . ثب الى رشدك ، وقدر اهمية الموقف ، والناس الذين تتحدث اليهم .. واعلم اننا لن نستمر في احترامنا لك ، ولن نصبر عليك اكثر من ذلك .

مسح شيخ القرية ، وجوه ابناء العجوز بنظراته ، ثم استحثهم قائلا :

ـ اليس في استطاعتكم ان تضعوا حدا لتلك المهزلة ؟!

تبادل الاخوة نظرات مشحونة بالانفعال والتوتر .. ادرك سالم من نظرات اخويه ، انهما يتركان له مهمة الحديث .. التفت الى العمدة ، وقال في خشوع :

ـ هل تسمحوا لي بسؤال بسيط ؟

ـ تفضل :

ـ اخراج الموتى من قبورهم .. اهو حلال ام حرام ؟

شعر خطيب المسجد ، بأنه هو وحده صاحب الحق في الاجابة على هذا السؤال .. اعتدل في جلسته ، وقال مؤكدا كلامه بالضغط على حبات سبحته :

ـ يا ابني .. قال تعالى ، وهو اصدق القائلين :

« واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم .. »

ومن هنا ، كان واجبنا ان نطيع اولي الامر ، لا سيما وانهم يهدفون لما فيه صالحنا .. اما استخراج الموتى ، فلا حرمة فيه اطلاقا .. اليس ذلك افضل من تركهم لتدوسهم اقدامنا وهم تحت التراب ؟! لقد ضاعت معالم الكثير من القبور ، واصبح الناس يختصرون الطريق الى السوق ، ويسيرون مخترقين ارض الجبانة !

همهم الحاج عيسوي يستغفر الله ، ثم قال محتدا :

ـ لو رأيت احدا يفعل ذلك ، لما ترددت في قطع رقبته .

ظل سالم يرنو الى ابيه طويلا ، ثم باغته بقوله :

ـ الحقيقة يا ابي ، انك تقف حائلا بيننا وبين ما فيه صالحنا ، دون مبرر معقول .. يجب ان تصحح موقفك ، وتفرح من اجلنا .

دفع حديث سالم بالشجاعة في نفس حسين ، فانضم اليه قائلا :

ـ العلم سوف يأتي لابنائنا وهم في قريتهم .. سوف يستريحون من عناء السير على الاقدام ، وركوب الحمير الى مدرسة الكفر البعيدة .. سوف يتوفر لنا جميعا الدواء والرعاية الصحية ، و ..

قاطعه ابوه :

ـ يا لكم من جيل ضعيف .. لقد عشت انا ما يقرب من المائة سنة ، ولا اذكر اني مرضت يوما واحدا ..

ـ كان تعدادكم قليلا يا ابي ، فكانت الخيرات كثيرة والصحة جيدة ، اما الان ، فقد كثرنا ، وكثرت امراضنا ، حتى اصبح من واجبنا ان نحدد النسل ، و ...

في سذاجة ، ضحك رمضان قائلا :

ـ لا شك ان الوحدة سوف يكون فيها تليفزيون نتفرج عليه و ..

علي احمد باكثير

دمعة على الصديق الشاعر علي احمد باكثير.. رفيق الدراسة والشعر والصداقة الحقة ..
بمناسبة مرور عام على وفاته في غرة رمضان ١٣٨٩هـ، الموافق ١١ نوفمبر ١٩٦٩ ..

عامر محمد البحيري

***

خطبي بمثلك لا يهون   فالدمع تسفحه العيون
يـا باكثير .. وانت عمـر .. قد طوته يد المنون
عمر الصداقة ، والزمـا   له ، والخواطر ، والشجون
عمر الصبى ، والزهر ، والشعر المجدد ، والفنون
عمر من الامل انقضى   بين التمني ، والظنون
كنا نفكر في الشبا   ب .. ومثلنا من يحلمون
أنكون في غدنا .. كما   تهوى العلى .. او لا نكون

هيهات ، لا أنسى على الايام .. موكبك الحزين
في مشهد ، لم يمش خلفك فيه غير الكابرين
من كل عال في عبا   قرة الزمان الملهمين
يمشون في ركب الفجيعة خشعا متحسرين
ومن الطبيعة حولهم   صور الجمال المستكين

دخلت مجموعة من الشبان ، واعلن احدهم :

ــ كل شيء على ما يرام الان .. الاهالي في غاية السعادة ، وقد تطوعوا للعمل في المشروع دون مقابل .

ــ عظيم ..

ــ رائع ..

تنحنح العمدة ، ثم قال للحاج عيسوي :

ــ ما قولك الان يا حاج ؟.. المشروع سوف يتم ، سواء رضيت او لم ترض .. كان ينبغي ان تدرك ذلك منذ البداية .

غمغم الحاج عيسوي ، وقد كبت حدة ثورته بعض الشيء :

ــ **ماذا اقول ، وابنائي انفسهم ليسوا في جانبي ؟!**

تاهت نظراته ، وشرد فكره ، لكنه ما لبث ان استجمع نفسه ، وهتف متحمسا :

ــ عندي فكرة .

ــ ما هي ؟!

ــ ان تقام الوحدة على اي قطعة اخرى من الارض .. وانا مستعد للتبرع بكل ما تطلبون .

ــ يا حاج .. الحكومة تعمل على زيادة الارض الزراعية ، ومن غير المعقول .. ان نعمل نحن على اتلافها .

تمتم الحاج عيسوي في يأس :

ــ منكم لله .. وهو خير شاهد على اني بريء منكم ومن اعمالكم الى يوم الدين .

انهى العمدة الموقف بقوله :

ــ غدا سوف نذهب جميعا للعمل في الجبانة ، لننتهي من اعدادها ، قبل حضور آلات الاصلاح ومواد البناء .. فان شئت أتيت معنا وباركت عملنا ، والا فسوف نضعك تحت حراسة ابنائك .. خشية ان تحدث بنفسك مكروها .

اغمض الحاج عيسوي عينيه ، واخذ يهذي بكلمات غير مفهومة .

في الصباح ، تقدم الحاج عيسوي الى العمدة مستسلما :

ــ خذوني معكم .. اقرأ القرآن الكريم على ارواح الموتى .. عسى ان يغفر الله لنا ولهم .

في مقدمة الموكب ، سار العمدة، وبجانبه الحاج عيسوي ، ورجال الحكومة ، وكبار القرية ومثقفيها . يتبعهم باقي الرجال، حاملين الفؤوس والمجارف والمقاطف .. ولم تخل القرية من بعض النساء الباكيات .. ربما لمجرد تذكر الموت والموتى .

انغرست اول فأس في ارض الجبانة ، فانحدرت دمعتان على خدي الحاج عيسوي .. أسبل جفنيه ، واستمر يقرأ القرآن الكريم بصوت خافت ، فبدا وكأنه يستعد للتحليق بروحه في ملكوت الله .

فتح عينيه في بطء شديد ، فرأى اول جمجمة اخرجت من تحت الارض .. صعق ، فجحظت عيناه، وانفلتت منه شهقة حادة ، ثم .. انطرح جسده على الارض ، وسكن تماما ..

ظن الناس انه قد اغمي عليه .. التفوا حوله ، وحركوا جسده ، فوجدوه خاليا من الروح ..!

القاهرة   محمد صفوت

الروض يـرنـو ساهمـا   والنيل ينشج فـي سكون
وبواسق الاشجـار بـين   يديـك باكيـة الغصـون
والنور مـن دمـع الضحى   والظـل حـزن الراحلـين
اخـذوا باسبـاب الـودا   ع ، وخلفونـا ذاهلـين
تالله مـا نـدري .. وانت   الامس صـدر القائلـين
أنكون بعـدك مثلمـا   تهوى العلى . او لا نكون

يـا صاحب الخلق الرضي ، وبـاذل الـود المتين
مـا زلت حتـى في الردى   فـي السابقين الاولـين
بعثت شبابـك حضرمو   ت ، وشاقك الحرم الامين
وسبقت للنيـل الظمـا   ء ، لـورده متعطشـين
فنهلـت منـه نهلـة   بـردا علـى القلب الوهين
وحالـت روض النيـل البـاقـي علـى مـر السنين
في الصبح .. تشهد لجة   حملت مـن الابـد السفين
وتجيل في كرم ابـن هـا   ني .. الطرف، والهرم المكين
اثران ، مـن سحـر القصيد   ، ومـن أعاجيب القـرون
ترنـو الفـداة اليهمـا   تستلهم الشعـر الرصـين
لمـا ظمئت الـى الخلـو   د .. نهلت كأس الخالدين

يـا باكثيـر .. ومثـل خطـبك فـي الحوادث لا يهـون
ان العروبـة فيـك والاسلام .. خطبهمـا مبـين
منـذ يقـول اذا انطـوى   فـي الدهر عهد النابغين
مـن ينمح الرمـح الثقا   ف، ويشحذ السيفالسنين
قلم الاديب .. هو السلا   ح.. اذا التقى بالشاهرين
كم مـن صريع فـي معا   ركـه الرهيبـة ، او طعين
فحميـة ، او غيـرة   للحق .. حتـى يستبين
لـم يختلـف يومـا عليـك مـن الثقـاة الناقدون
وعلـى هـداك محافظـو   ن تقدمـوا ، ومجددون
نعـم اللـواء .. رفعتـه   لا لليسـار ، ولا اليمـين
لكنـه الفكـر المسـد   د .. ساقه العقل الرزيـن
دبجـت خالـدة الملا   حم ، فـي هـداه ، أربعين
لمـا تصفحـت الرجـا   ل اخترت خيـر العادلين
.... الـذي   شغلته حـال المعوزيـن
والعبقـري . اذا فـرى   فريـا .. اميـر المؤمنين
عمـر .. الـذي نصر الالـه .. بـه .. اعـز المرسلين

هـذا قصيدي .. باكثيـر   .. عصارة القلب الضنـين
بالامس لـم اخطىء رضا   ك عنـه .. بين السامعين
واليـوم قـد اطلقتـه   لـك ادمعـا لا ينتهـين
جد لي بشعرك.. كي اصو   غ .. رثاءك الغالي الثمين
واعيد مـا قـد قلتـه   وعليـه ثرنـا أجمعين
قسـم العروبـة محرج   والعزم صلب .. لا يلـين
لنحررن القدس .. مـن   ايـدي الطغاة المعتدين
ولنـرجعـن الارض او   نقضي بهـا مستشهديـن
البغـي راكـب رأسـه   والحمق أسكره الجنـون
والحـرب دائـرة الرحـى   هوجاء ، مشعلـة الاتـون
امـا نكـون .. اذا اصطلينـا نارهـا .. او لا نكـون !

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري



محمود الحسنية

المعتمد بن عباد ومعركة الزلاقة

بقلم محمود الحسنية
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

* * *

قال القاضي ابو بكر بن خميس : قد ذكر الناس للمعتمد من اوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه فهو شجاع ، جم الادب ، عالي النظم كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي . وقال ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي من دانيه المعروف بابن اللبانه المتوفى سنة ٥٠٧ هـ ، ١١١٣ م في نسب بني عباد :

من بني المنذرين وهو انتساب ... زاد في فخره بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي ... والمعالي قليلة الاولاد

لما اشتد التنافس ، واستحكم نزاع الحسد ، بين ملوك الطوائف غزا ملوك تشتاله طليطلة في سنة ٤٤٥ هـ ، ونكلوا بصاحبها يحيي بن ذي النون الملقب (١) بالمأمون ، وغزا الفونس السادس بن فرذيلند ما بقي من ممالكهم حتى بلغ جزيرة طريف ، وادخل قوائم فرسه في البحر، قائلا : « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » . وفرض الضرائب الباهظة عليها حتى ضعف الاعتمار وقل الازدهار . فعانى منه ملوك الطوائف الكثير من التعسف والاضطهاد الى ان كان من امره مع ابن عباد ما كان .

بعث ابن فرذيلند الى ملك اشبيلية المعتمد بن عباد الذي يرتقي بنسبه الى النعمان بن منذر بن ماء السماء اللخمي رسولا يوهديا ولاه جباية الاموال ، نزل بظاهر المدينة في موكب من الفرسان ، وكتاب الديوان ، فقدم له المال، فلم يرض عياره متعمدا الاساءة، واقسم اليهودي بان مولاه لا يقنع في السنة المقبلة الا بالبلاد ، ولما نقل كلامه الى ابن عباد ، امر بالقبض عليه ومن معه ، فاعدمه واسر رفاقه فغضب ابن فرذيلند واخذ يتوعد لاحتلال اشبيلية فاستنهض المعتمد ملوك الطوائف وحثهم على الاتحاد لمنازلة ملك قشتالة ، وراى ان يستعين بالامير يوسف بن تاشفين اللمتوني ، فاستشار اولياء الرأي في مملكته ، وقاضي الجماعة في قرطبة ابا بكر عبيد الله بن ادهم ، وابن رشيق ، وقضاة بطليوس وغرناطة ، رغم ما يعرف من ان ابن تاشفين يطمع في الاستيلاء على الجزيرة الخضراء ، ورغم معارضة ولده الرشيد لهذا الراي حيث قال : حاول الامر بجهدك مع النصراني ولا تستعجل بادخال من يسلبنا الملك ويشتتنا فالناس من علمت ، فقال المعتمد : « يا ولدي لان اموت راعيا بالمغرب خير عندي من ان ارد الاندلس دار كفر ، فتكون اللعنة علي من المسلمين ابد الدهر » .

بعث المعتمد الى المغرب في سنة ٤٧٨ هـ اسطولا اندلسيا ضخما يرافقه القضاة والاعيان ليقل ابن تاشفين، وانتظره في سبته مستخلفا ولده الرشيد في اشبيلية ، جاز ابن تاشفين مع جيشه ومرافقيه الى الاندلس، فاحتفت به ملوك الطوائف والقبائل ولقيه ابن عباد مقدما له التحف والهدايا ، ولحقت به الجيوش العربية من طول البلاد وعرضها ، وتوقفت معه في اجواز بطليوس ، فلقيهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد وقدم لهم ما لذ وطاب من المأكل والمشرب .

ولما علم ابن فرذيلند بمجيء ابن تاشفين امير دولة المرابطين واستعداده للحرب حث الجلالقة والفرنجة بواسطة الرسل على الجهاد ، فتجمع لديه جيش عظيم اختار منه اربعين الف دارع وقال : « بهؤلاء اقاتل الجن والانس ... » ولما اكمل استعداده وتهيأ للحرب بعث الى ابن عباد متوعدا ، متغيظا بما فحواه : « ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحور ، وانا اكفيه العناء فيما بقي ، ولا اكلفكم تعبا ، امضي اليكم ، والقاكم في بلادكم رفقا بكم ، وتوفيرا عليكم » .

فاجابه ابن تاشفين : « عليكم الاختيار بين الاسلام ، او دفع الجزية، والا فالحرب امامكم . » فامتلأ ابن فرذيلند غيظا ودعا الى الحرب المقدسة فرفع القسس والرهبان الصلبان ، ونشروا الانجيل ، وطافوا بلاد الفرنجة يدعون لهذه الحرب حتى اصبح لهم جموع غفيرة قدرت باضعاف جموع المسلمين (قال عنهما المقري في نفح الطيب : انها ثلاثماية الف) تظاهر ابن فرذيلند بمنازلة العرب ، ثم اجل ذلك يوما ثم يومين ليفاجئهم على حين غرة ، وبث الجواسيس يأتونه باسرار اعدائه ، ولكن ابن عباد الملك

البطل كان يقظا يعرف حبائله ، يتقصى اخباره وينقلها الى ابن تاشفين بواسطة كاتبه ابي بكر بن القصيرة .

وكان ملك الفرنجة يقول لقواده : ابن عباد مسعر هذه الحروب ، وهؤلاء الصحراويون وان كانوا اهل حفاظ ، وذوي بصائر في الجهاد فهم يجهلون طبيعة هذه البلاد فاقصدوه وقاتلوه ، فاذا قضيتم عليه قضيتم عليهم بعده . ومال ابن فرذيلند على المعتمد واحاطه بكل جيشه واشتد بلاء الحرب وحمي وطيس المعارك وصال المعتمد وجال ، ودافع دفاع الابطال حتى اثخنت جراحه فاصيب في هامته : وفي يده اليمنى ، وجانبيه ، وعقرت تحته ثلاثة افراس ، وسقط العديد من جيشه وتباطأ عنه ابن تاشفين ، وساورته الظنون وتذكر قول ابنه الرشيد وبعث الى ابن له في اشبيلية تركه عليلا ، اسمه العلاء وكنيته ابو هاشم وكان يحبه كثيرا :

ابا هاشم هشمتني الشفار ولله صبري لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج فلم يثنني ذكره للفرار

وكان اول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا عصاميا دفعته رجولته بان يقتحم المعركة ، فجال فيها وسرى عن ابن عباد ، وبعده اقبل ابن تاشفين وطبوله تصدح امام جيش لجب، فحمل على ابن فرذيلند والتحم الجيشان بمعركة ضارية اظلم فيها النهار بالعجاج والغبار ، وتزلزلت الارض بحوافر الخيل وارتد من تقهقر من جيش ابن عباد الى قلب المعركة ، وبدت ريح الظفر وتباشير النصر ، وانكشف ابن فرذيلند وولى منهزما بعد ان طعن في احدى ركبتيه ، وخمع من هذه الطعنة طيلة عمره ، وسلطت السيوف على رقاب من بقي من جيشه المتقهقر ، ولم ينج منه سوى خمسماية فارس كلهم مكلوم ، وهكذا انتصر ابن تاشفين وابن عباد في اكبر معركة من معارك النصر في الاندلس. في بطحاء الزلاقة من اقليم بطليوس ، في يوم الجمعة الموافق في العشرين من رجب سنة ٤٧٩ هـ سنة ١٠٨٦ م

وفي هذه المناسبة قال ابن جهور كما جاء في الحلة السيراء لابن الابار :

لم تعلم العجم اذ جاءت مصممة يوم العروبة ان اليوم للعرب

اقبل ابن عباد البطل على ابن تاشفين وصافحه ثم شكره واثنى عليه .

اقام ابن تاشفين في اشبيلية ثلاثة ايام كلها حفاوة واعياد . ولما عاد الى المغرب لامر هام مشى ابن عباد معه يوما وليلة فتورمت جراحه ، ورجع الى اشبيلية وامر ابنه بالمسير معه الى فرضة المجاز حيث عبر البحر وترك ابن تاشفين احد قواده المشاهير الامير سيري بن ابي بكر مع جيش كبير له ففزا الفرنج ، وسبى وفتح الحصون والمعاقل وتوغل في البلاد وحصل اموالا وذخائر عظيمة ارسلها الى مولاه في المغرب. وبعد معركة الزلاقة المظفرة، طار ذكر ابن عباد ومالت اليه القلوب وحالفته ملوك الطوائف وخاطبته بالتهنئة ، وكانت ايامه مزدهرة هانئة مقرونة باليمن وسعة العيش .

اجتمع في بلاطه الاعيان من رجال الادب والعلم والشعر ما لم يجتمع لغيره ولا غرو فهو الملك الذي عرف بالشاعر البطل ، لعلو منزلته في الشعر ، وفي الشجاعة.

وهكذا بقي ابن عباد مكرما ، معظما ، حتى كانت الوقيعة بينه وبين ابن تاشفين بعد ان اوغر صدره قائده في الاندلس ضد ملوك الطوائف ومنهم ابن عباد ، قائلا : « جيوشنا في الثغور مقيمة في مكايدة العدو وملازمة الحرب والقتال في اضيق العيش وملوك الاندلس في بلادهم في ارغد عيش » فامره بالتصدي لهم .

نفذ الامير سيري بن ابي بكر اوامر سلطانه وبدا بخلع صاحب غرناطة ، حفيد باديس ثم ثنى بالمعتمد بن عباد فنازلته قواده باشبيلية ، ونازلت ولده المأمون بقرطبة ، وولده الراضي برندة . وجرد ابن عباد من ملكه في العشرين من رجب سنة ٤٨٤ هـ ، وقتل ابنه مالك بين يديه ، وجرت عليه اهوال شديدة حيث كان يكافح على جبهتين من جيش الفرنج وجيش ابن تاشفين .

وبعدما تم لابن تاشفين خلع المعتمد وقضى على حكم بني عباد ، الذي دام من سنة ٤١٤ هـ ، ١٠٢٣ م الى ٤٨٤ هـ ، ١٠٩١ م خلع جميع عمال بني عباد واقتادهم اسرى الى المغرب ، واسر المعتمد ووضعه مكبلا بالاصفاد في اغمات بمراكش حيث كان يقتات من غزل بناته وهو القائل :

وانا اليوم رهن اسر وفقر مستباح الحمى مهيض الجناح

وفي منفاه قال :

انباء اسرك قد طبقن آفاقا بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم حتى اتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع اكبادا وافئدة واغرق الدمع آماقا واحداقا

ثم قال وقد اطل العيد :

فيمامضى كنت بالاعياد مسرورا فساءك العيد في اغمات مأسورا

---

(١) ـ ملوك الطوائف :

١ ـ الدولة الزيرية في غرناطة ٤٠٣ ـ ٤٨٣ هـ .
٢ ـ الدولةالحمودية في قرطبة ومالقه ٤٠٧ ـ ٤٥٠ هـ .
٣ ـ الدولة الهودية في سرقطة ٤١٠ ـ ٥٣٦ هـ .
٤ ـ الدولة العامرية في بلنسية ٤١٢ ـ ٤٧٨ هـ .
٥ ـ الدولة العبادية في اشبيلية من ٤١٤ ـ ٤٨٤ هـ .
٦ ـ دولة بني الافطس في بطليوس ٤٢١ ـ ٤٨٧ هـ .
٧ ـ الدولة الجهورية في قرطبة ٤٢٢ ـ ٤٦١ هـ .
٨ ـ دولة ذي النون في طليطلة ٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ .

كانت الحروب بين ملوك الطوائف متصلة فهجاهم ابو بكر بن عمار :

مما يزهدني في ارض اندلس القاب مملكة في غير موضعها
اسماء معتضد فيها ومعتمد كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

مصادر البحث : الحلة السيراء لابن الابار . تاريخ اسبانيا الاسلامية ، لابن الخطيب . نفح الطيب وازهار الرياض في اخبار عياض ، للمقري .

شعراء الحب

لما رأتني واقفا حولها	قالت من الاشفاق ماذا تريد
لقد رأتني ساهما حالما	محدقا في وجهها من بعيد
أرنو وقلبي في ذهول الى	وجه سماوي وشكل فريد
قلت اعذريني انني شاعر	وصنعتي يا أخت وحي القصيد
والحسن الهامي ومن وحيه	أعرف يا حسناء سر النشيد
جئتك مأخوذا بسحر الصبا	وغير نظراتي لا أستزيد
قالت فهمت الآن ما تبتغي	فانظر وخذ مما تشاء المزيد
ما بين ما تبغيه من مطلب	وبين ظني كان شأو بعيد
يا شعراء الحب الحانكم	ري العذارى في الشباب السعيد
غنوا ليالي الحب واستلهموا	ايحاءكم من كل خد وجيد
وزودونا بالمنى انها	سلوى ربيبات الصبا في النشيد
فما شجانا غير انشادكم	نتلوه ليلا والبرايا رقود
وسرت عنها بعد توديعها	نشوان من سحر الطي والخدود
ذهبت لكن الذهول الذي	حل بقلبي.. عاد لي .. من جديد

البحرين — احمد محمد الخليفة

ثم قال :

اقنع بحظك في دنياكا ما كانا	وعز نفسك ان فارقت اوطانا
في الله من كل مفقود مضى عوض	فاشعر القلب سلوانا وايمانا

توفى المعتمد في منفاه في ذي الحجة من سنة ٤٨٨ هـ ، وامر ان يكتب على قبره من نظمه :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي	حقا ظفرت باشلاء ابن عباد
بالطاعن الضارب الرامي اذا اقتتلوا	بالخصب ان اجدبوا بالري للصادي
نعم هو الحق وافاني به قدر	من السماء ووافاني لميعادي
ولم اكن قبل ذاك النعش اعلمه	ان الجبال تهادى فوق اطواد
فلا تزال صلاة الله دائمة	على دفينك لا تحصى بتعداد

قال ابن الصيرفي : في مصلى العيد الذي توفي المعتمد في شهره ، زار ضريحه باغمات خلق كثير يتوجعون ويترحمون ومنهم شاعره ابن عبد الصمد الذي رثاه بمنظومة رائعة زادت على مابة وعشرة ابيات ، ابكى بها كل من حضر ، اولها :

ملك الملوك اسامع فانادي	ام قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن	فيها كما قد كنت في الاعياد

قال ابن الابار فيه : ورزق من الناس حبا ورحمة فهم يبكونه الى اليوم .

كيف لا وقد كان عهده عهد المحبة والرخاء استقطب فيه نخبة من رجال العلم من قضاة ووزراء ، وشعراء : امثال الحصري وابن العربي وابن زيدون ، وابن رشيق ، وابن اللبانة ، وابن عمار ، وابن عبد الصمد ، وابن حمديس الصقلي ، وهكذا لقب المعتمد بالملك الشاعر البطل ، بعدما خلد بشجاعته معركة الزلاقة ، وسطرها التاريخ بمداد الفخر ، حيث اضيفت الى ايام العرب المظفرة ، فالقادسية ، وذي قار ، وجبل طارق ، والزلاقة، وحطين ، وعنجر ، معارك خالدة ، فهل من معركة مظفرة اخرى تعيد الحق المغتصب والارض السليب ؟...

اجل انني المح من بعيد الوية النصر بيد المغاوير السمر يتقدمهم معتمد بطل .

محمود الحسنية



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

جبة خلقة

ويقولون : ثوب خلق (بفتح الخاء واللام) ، اي بال ، وجبة خلقة . والصواب : ثوب خلق وجبة خلق (بفتح الخاء واللام في كليهما) . وقد روى اللحياني عن الكسائي انه قال : لم نسمعهم قالوا : خلقة (بفتح الخاء واللام) في شيء من الكلام . وجمع خلق : خلقان (بضم الخاء وتسكين اللام) ، وأخلاق .

وقد يقال : ثوب أخلاق يصفون به الواحد اذا كانت الخلوقة فيه كله . ويقال أيضا : جبتان خلقان ، ولا يقال : خلقتان .

اختلى بـه

ويقولون : اختلى المضيف بالضيف . والصواب : استخلى به ، وخلا به ، وخلا اليه ، وخلا معه : خلاء وخلوة وخلوا (بفتح الخاء في المصادر الثلاثة) ، كما جاء في الصحاح والتاج والمحيط ومتن اللغة واقرب الموارد . وشذ اللسان عنها فذكر : خلوا (بضم الخاء واللام وتشديد الواو) بدلا من : خلوا (بفتح الخاء وتسكين اللام) ، واكتفى الاساس بذكر المصدرين الاولين (خلاء وخلوة) ، وأرجح أن هناك خطأ مطبعيا في اللسان ، لان خلوا (بضم الخاء واللام وتشديد الواو) هو مصدر : خلا المكان يخلو خلاء وخلوا (بضم الخاء واللام وتشديد الواو) ، الذي يعني : فرغ ورحل ساكنوه .

اما معنى (خلا به واليه ومعه واستخلى به) فهو : انفرد بـه أو اجتمع به في خلوة .

ومن معاني الفعل (اختلى) :

١ ـ جز الخلى (بفتح الخاء واللام) وقطعه (الخلى : الرطب من الحشيش) . وفي حديث ابن عمر : كان يختلي لفرسه ، اي يقطع لها الخلى . وفي حديث تحريم مكة : لا يختلى (بالبناء للمجهول) خلاها ، أي : لا يجز ولا يقطع (ببناء الفعلين للمجهول) .

٢ ـ اختلى السيف رأسه : قطعه .

خامس معركة

ويقولون: هذه خامسة معرفة انتصر فيها جيشنا. والصواب: هذه خامسة معركة، لأن العدد الترتيبي يطابق المعدود في التذكير والتأنيث، سواء أكان صفة ، أم مضافا الى المعدود .

ضرب أخماسا بأسداس

ويقولون : ضرب اخماسا بأسداس . والصواب : ضرب أخماسا لاسداس . وهو مثل يضرب لمن يسعى في المكر والخديعة .

الاخماس : جمع خمس (بكسر الخاء) ، والاسداس : جمع سدس (بكسر السين) ، وهما من أظماء الابل .

وأصل هذا المثل ، ان الرجل اذا أراد سفرا بعيدا ، عود ابله أن تشرب خمسا ، أي كل خمسة أيام مرة ، ثم سدسا ، حتى أخذت في السير صبرت على الظمأ . وأنشد الكميت :

وذلك ضرب أخماس أريدت لاسداس ، عسى الا تكونا

الخناق

ويسمون الداء الذي يعسر معه نفوذ النفس الى الرئة : الخانوق، واسمه الاجنبي الدفتيريا . والصواب : داء الخناق (بضم الخاء) على وزن (فعال) ، الدال على مرض ، مثل : سعال ، وسلال ، وزكام ، ورعاف (النزف من الانف) . ويسمى هذا الداء أيضا : الخناقية (بضم الخاء وتشديد الياء) . وانفرد (متن اللغة) بأن أطلق عليه اسم الخناق (بضم فنون مشددة) ايضا . ولم اعثر على المصدر الذي اعتمد عليه .

خوخ

ونطلق على الفاكهة المعروفة اسم خوخ في سورية وفلسطين والاردن ولبنان . والصواب هو : الاجاص (بكسر الهمزة وتشديد الجيم) أو البرقوق (بضم الباء) .

شد على اصبعه خيطا

ويقولون : شد على اصبعه خيطا ليتذكر به الحاجة . والصواب: شد الرتمة (بفتح الراء والتاء) ، او الرتمة (بفتح الراء وتسكين التاء) ، او الرتيمة ، لان احدى هاتين الكلمتين توفر علينا كتابة جملة طويلة ، يعد طولها ـ في رأيي ـ نوعا من الخطأ ، ما دمنا نستطيع الاستعاضة عنها بكلمة واحدة .

يخال لي ان الامر كذا وكذا

ويقولون : يخال لي ان الامر كذا وكذا . والصواب : يخيل (بضم الياء الاولى وتشديد الثانية وفتحها) الي ان الامر كذا وكذا . ومعنى : خيل (بالبناء للمجهول) اليه أنه كذا : توهم انه كذا . واجاز الحريري قول : خيل له أنه كذا .

راجع سورة طه ، الآية : ٦٦

أربعة خيول

ويقولون : تجر العربة أربعة خيول . والصواب : تجرها أربعة جياد . لان الخيول والاخيال هي : جمع خيل .

والخيل : جماعة الافراس ، لا واحد له لانه اسم جمع . وقيل : واحده (خائل) ، لانه يختال .

ويطلق كلمة (خيل) على الفرسان ، والجياد ، والبراذين (دواب الاحمال الثقيلة) . والعدد (اربعة) لا يصح ان يكون جمعا لاسم جمع ، وهو من جموع القلة . وجاء في الصحاح : والخيل : الخيول .

وبعدما قال صاحب اللسان : والخيل الخيول ، عاد فاستدرك قائلا : وجمع الخيل : اخيال وخيول ، والاخير اشهر واعرف .

ومن الادلة على ان من معاني الخيل : الفرسان ، قوله تعالى في الآية ٦٤ من سورة الاسراء ، فالرجاء مراجعتها ، وانا لا اذكرها هنا : لان حروف المجلة غير مضبوطة بالشكل .

بالتالي

ويقولون : فلان يأكل كثيرا ، وبالتالي يتخم . والصواب : يأكل كثيرا ، ثم يتخم . و (بالتالي) شبه جملة ركيكة جدا ، لا أدري كيف تسللت الى قسم كبير من كتابنا .

اجتمع به

ويقولون : اجتمع فلان بفلان . والصواب : اجتمع فلان الى فلان . وقد جاء في التاج واللسان :

١ ـ كانت قريش تجتمع الى كعب بن لؤي فيخطبهم .

٢ ـ كانت قريش تجتمع الى قصي في دار الندوة .

واستعمل البديع الظرف (مع) في رسائله في الصفحة ٤١ من طبعة المطبعة الكاثوليكية ، فقال : « وقديما كنت أسمع بحديثك ، فيعجبني الالتقاء بك والاجتماع معك » . وانكره الحريري في درة الغواص . واعتقد أن البديع أخطأ .

وفي التاج واللسان :

١ ـ اجتمع معه على الامر : مالأه عليه ، أي : ساعده وشايعه .

٢ ـ اجتمعوا على مطر الوسمي (مطر الربيع الاول ، اي : انتظروا خصبه وكلاه ، وهم مجتمعون في المكان الذي نزل عليه الوسمي) .

الدبابير

يقولون : لسعته الدبابير . والصواب : لسعته الدبر (بفتح الدال المشددة وتسكين الباء) ، وهي لا واحد لها من لفظها . وتجمع الدبر على أدبر ودبور (مثل : أنفس ونفوس) . أو نقول : لسعته الزنابير . مفردها (زنبور) بضم الزاي وتسكين النون . وقد يكون مفردها زنبار (بكسر الزاي وتسكين النون) .

وقيل ان الدبر هي النحل ايضا . وقد خطأ الازهري ذلك . ولا واحد لها من لفظها ايضا .

أما كلمة الدبور (بتشديد الدال المفتوحة والباء المضمومة) فلم اجدها في معجم الدميري (حياة الحيوان الكبرى) ، والمعاجم اللغوية تقول : ان الدبور (بتشديد الدال المفتوحة والباء المضمومة) هو الزي (بتشديد الزاي المكسورة والياء) .

وتوجد كلمة دبور (بفتح الدال وتخفيف الباء) ، وهي الريح الغربية ، وتقابلها الصبا (بفتح الصاد وتشديدها) ، وهي الريح الشرقية .

نزل من الدرج

ويقولون : نزل من الدرج . والصواب : نزل (بفتح النون والزاي) من الدركات ، وصعد في الدرج ، لان الدركة (بفتح الدال المشددة والراء) للنزول ، والدرجة للصعود . راجع الآية ٢٥٢ من سورة البقرة ، والآية ١٤٤ من سورة النساء .

مدرج المطار

ويقولون : هبطت الطائرة على مدرج (بضم الميم وفتح الدال وتشديد الراء وفتحها) المطار . والصواب : هبطت على مدرج (بفتح الميم والراء وتسكين الدال) المطار . لان معنى درج (بفتح الاحرف الثلاثة) : مشى . ويصاغ اسم المكان منه على وزن مفعل (بفتح الميم والعين وتسكين الفاء) ، لان مضارع (درج) مضموم العين .

أما كلمة مدرج (بضم الميم وفتح الدال والراء المشددة) ، فتعني كل ردهة ، او مكان صفت فيه المقاعد في شكل درجات ، وأمامه منبر للخطابة ، او ملعب ، او ممثل ، او ستار أبيض للخيالة (السينما : وضعها مجمع دار العلوم في الجدول رقم ١٩) .

وتعني كلمة مدرج (بضم الميم وفتح الدال والراء المشددة) ايضا : كل بناء واسع في شكل نصف دائرة ، مرتفع الجدران ، وفيه مقاعد مدرجة ، امامها فسحة تستعمل للالعاب . ويعرف في الغرب ب (الامفيتياتر) أو (الستاد) .

جمع ما يكفي دراسته

ويقولون : جمع ما يكفي دراسته في الجامعة . والصواب : جمع ما يكفيه للدراسة في الجامعة ، لانه هو الذي يحتاج الى المال للدراسة ، وليست الدراسة نفسها في حاجة الى المال .

سنة دراسية

ويقولون : قضى في معهدنا سنة دراسية . والصواب : سنة مدرسية ، لان السنة المدرسية لا تشمل فصل الصيف ، ويتخللها نحو خمسين يوما من العطل المدرسية ، بينما تعني السنة الدراسية سنة كاملة من الدراسة المتواصلة ، مما لا يتاح للطلاب في المدارس .

دعاه للنزول

ويقولون : دعاه للنزول . والصواب : دعاه الى النزول . راجع الآية ٤٦ من سورة الاحزاب .

وفي الحديث : لو دعيت الى ما دعي اليه يوسف عليه السلام لاجبت . يريد حين دعي للخروج من الحبس ، فلم يخرج ، وقال : ارجع الى ربك فاسأله . يصفه صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات ، أي : لو كنت مكانه لخرجت ولم ألبث . قال ابن الاثير : وهذا من جنس تواضعه في قوله : لا تفضلوني على يونس بن متى .

تداعى للسقوط

ويقولون : تداعى جدار الحديقة للسقوط . والصواب : تداعى جدار الحديقة (وهو من المجاز) ، لان معنى تداعى : سقط ، أو مال الى السقوط .

دفة السفينة

ويقولون : دفة السفينة ، ويقصدون بها ذنب السفينة الذي به تقوم وتسكن . والصواب : سكان (بضم السين وتشديد الكاف) السفينة . وكلمة (دفة) غير الفصيحة هنا لها معان في الفصحى، هي:

١ ـ الجنب من كل شيء او صفحته ، ومن المجاز : دفتا المصحف ، أي : ضمامتاه من جانبيه .

٢ ـ دفتا الطبل : الجلدتان اللتان تكتنفانه ، ويضرب عليهما (مجاز) .

٣ ـ أطلقها ابن بطوطة على مصراع الباب ، لانها جنب منه .

الدكتور فلانة

ويقولون : الدكتور فلانة ، حاذين بذلك حذو الانكليز ، الذين لم يضعوا في لغتهم تأنيثا لكلمة (دكتور) . وأنا ، لو اضطررت الى استعمال كلمة دكتورة ، لن أتردد في ذلك أبدا .

ولحسن حظنا أننا لن نحتاج الى استعمالها ، ما دام في الفصحى ما يحل محل كلمة (دكتورة) ، وهي كلمة : (الطبيبة فلانة) .

صيدا ـ لبنان
محمد العدناني

قصة

جدي الذي مات

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

تراب الطريق مبلول بالندى .. كل خطوة من قدمي الحافيتين ، تمسح البلل عنه ، وتخلف مكانا غائرا بطول القدم .. حين ادور براسي الى الخلف ، ارى خطواتي متتابعة .. البعيد منها غامت ملامحه ، والقريب لا اثر فيه لبلل .. قرب بعض الخطوات ، روث البهائم ، اقراص بارزة ، مشققة .. قالت امي حين تنشف الاقراص لا ينفع لها ، لكني قرفت من جمعها ساخنة ..

الترعة ساكنة .. لا احد يبول على حافتها او يغتسل .. وما ينحسر عنه الضباب من الحقول المحيطة ، ما انفك يعمر بالخلاء .. لا بهيمة مربوطة ، ولا محراث يروح ويجيء .. والمقابر لم تبن بعد .. شجرة التوت وحدها يتفتق عنها الضباب .. نتف من الندى تعلق بأوراقها تصنع غلالة بيضاء حولها ..

كل يوم الى المقابر .. اجوس خلالها .. منذ قالت امي حرام ان تعتلي القبور ، وانا احاذر الارتطام بأي منها ، حتى القبور الرملية الصغيرة ، التي لا يدل عليها غير قالب طوب مدفون في طرف منها ، امتنع عن تخطيها .. ما ان ابلغ شجرة التوت حتى اتسلقها ... اندس بين فروعها باحثا عن فرع كبير اقتعده .. امد يدي افتش عن حبة توت آكلها .. ارسل عيني من خلال الاوراق والاغصان الهو بالنظر الى الطريق ..

اليوم لا قدم تدوس الطريق ... والتوت يملأ فمي لكنه لا يسكت صراخ معدتي .. انشغلت خالتي فتحية بالبقرة ، ولم يخرج ابنها فتحي الي .. آه لو ماتت البقرة .. منذ الامس والناس يتزاحمون على الدار .. لا يكفون عن الكلام والحركة .. ضعت بين سيقانهم ، فلم يلمحني احد ..

عند مشارف المقابر ، ينشق الضباب عن رجل له ملامح جدي .. بدني يهتز برعشة .. ويداي تتشبثان بالاغصان .. قالت امي بعد ان مات جدي .. رايت ابي في لباس ابيض .. يتقدم مني ويمرر يده فوق راسي .. الرجل السائر على الطريق يلبس ملابس بيضاء .. اود لو نزلت اليه ، فيقربني منه ، ويمسح على شعري .. كان جدي يفعل وهو يداعبني .. حين يغضب مني كان يصرخ في سأضربك يا عفريت .. كنت امرق منه كالنحلة .. وعلى البعد اقف مرتجفا .. لا احول عيني عنه .. وكنت ابكي اذا تشاغل عني ونسيني .. واظل ابكي حتى يناديني فيقبلني ويمسح على راسي.

الرجل الذي يلبس الملابس البيضاء .. يحمل شيئا بين يديه .. كان جدي لا يعود من المدينة فارغ

اليدين .. وكان يمر ببيتنا ، فيدس في حجر امي شيئا ملفوفا ، ما ان يغيب حتى اعمد الى حجرها ، فأجد فيه خبزا طريا وحلوى كثيرة ..

ـ ماذا تحمل بين يديك ؟..

صوتي رفيع وحاد .. ينفذ سريعا الى اذني الرجل .. تفرش البسمة وجهه .. ويخرج صوته ناعما هادئا :

ـ ماذا تعمل هنا يا ولد ؟..

الرجل يتلفت حوله .. لا يراني .. ارسل اليه صوتي من مكمني :

ـ انتظرك .. .

كان جدي يضحك حين اقول انتظرك .. وكان يقول تنتظرني يا عفريت ام تنتظر الحلوى .. جئتك بالكثير منها .. التصقت قدما الرجل بتراب الطريق .. وحدقت عيناه في المقابر .. شفتاه مزمومتان.

صوتي ينطلق متحشرجا :

ـ لست اريد حلوى ..

الدموع تتدافع من عيني .. تغرق وجهي .. تبلل شفتي .. لم اعد احس برغبة في قطعة حلوى تمسح المرارة من حلقي ..

ـ وماذا تريد يا ولدي ؟

صوت الرجل مخنوق مثل القمر ليلة الخسوف .. ودموعي ما تزال تسح .. وصوتي يعود يشرخ حنجرتي :

ـ اود ان اشكو خالي .. منع امي من دخول الحديقة .. وطردتها زوجته من الدار .. لم يكن عندنا خبز .. ولم يعطني خالي برتقالة .

بصري من وراء الدموع يتشبث بما يحمله الرجل بين يديه .. اود لو كان معه برتقال فيعطيني واحدة، اقشرها ، امصها فتضيع المرارة من حلقي .. لكن الرجل يرسل صوته وهو يتأهب للمشي :

ـ لا تقعد وحدك ..

يأخذ في المسير تجاه البلدة .. انزل مسرعا من فوق الشجرة ، وانطلق عبر الحقول ، اسابق خطاه على الطريق ..

الجرن يموج بالرجال والنساء .. حركة متشابكة .. واصوات مختلطة .. دفعت بجسدي صوب حلقة الرجال والنساء .. قبل ان اندس بين سيقانهم ، تهاويت على الارض .. اشهق من غير ان تنسكب من عيني دمعة .. خالتي فتحية مشنوقة بطرحتها .. يوم مات جدي نسيت امي طرحتها وخرجت من الدار مولولة .. دفعها عمي في صدرها زاعقا : تخرجين وراسك عارية ..

القدس

بذوب فؤادي لا بذوب المدامع ... يسيل فيذكي النار بين الاضالع
اخط تحياتي الى القدس والاسى ... يقطع احشائي بأمضى القواطع
سلام على القدس الحبيبة انها ... تقاسي من الشذاذ اقسى الفواجع
وقد اوحشت تلك المغاني واقفرت ... وكانت جنانا زاهيات المرابع
فلا سامر والدهر ران بصرفه ... عليها ولا انس بتلك المراتع
وليست نسيمات العشيات رخوة ... تهب على غصن من الروض يانع
ولا الانسات الغيد يخطرن في المسا ... يبحن بأسرار الغرام اللواذع
يجاذبن اطراف الاحاديث غبطة ... وينسجن احلام الاماني الروائع
لقد اجدبت تلك الرياض واهلها ... تواروا وكانوا كالبدور الطوالع
فلا فرحة الاعياد لا خفق ظلها ... يرف على ساحاتها والجوامع
ولا رنة الناقوس ترتج في الفضا ... فينساب للارواح ما في المسامع
ولا المسجد الاقصى يضيق كأمسه ... برواده من كل بر وخاشع
لقد حيل بين المؤمنين وبينه ... فلا ساجد لله في اثر راكع

سلام على القدس الحبيبة عاطر ... سلام محب دائم الشوق جازع
سلام على ايامها الزهر انها ... برغم دجى العدوان ازهى رواجع

جامعة بغداد ... باقر سماكة

ارتمت بين ذراعية وهي تنشج : مات سيد الرجال ...

دموعي المحتبسة تتدفق من عيني .. لا احد يأبه لي .. ينشغلون بخالتي فتحية والبقرة .. البقرة مجندلة ما تزال .. ولا احد من المتحلقين حولها يزايل مكانه .. يوم مات جدي تفجرت حركة في كل الارجاء .. صراخ ونحيب داخل الدار .. رجال يصطفون خارج الدار جالسين .. اخرون يحملون الفؤوس والمقاطف ويهرولون تجاه المقابر ، وفي اثرهم تلهث صبايا يحملن جرار ماء .. لحقت بهم .. وسط المقابر راحوا يحفرون في الرمل .. برزت امي وسط لفيف من النسوة يشاركنها اللطم والنحيب .. اقتربت منها .. شددتها من ذيل جلبابها .. نزلت بعينيها المحمرتين لتحتويني .. لاحظت انها مشنوقة بطرحتها ... زعقت فيها :

– اريد جدي ..

انحنت تحتضنني ونحيبها يتضاعف .. حاولت جارتها ان تباعد بيني وبينها .. بقيت ملتصقا بصدرها ، وعدت الح :

– احمليني لارى جدي ..

رفعتني امي بين ذراعيها .. تحت شجرة بعيدة يجلس القرفصاء ، يحوطه جمع من الرجال .. وجدي ينهال التراب عليه .. والماء يندلق من الجرار فوقه .. لكزت صدر امي وصرخت عاليا ، فاشتد عويل النسوة وصراخهن ، وتموجت حركة شملت الكل ...

البقرة صارت اشلاء .. يتهافت عليها الملتفون بها .. وفتحي يدنو من امه .. يندس في حضنها صامتا ... حين ضفط الكل على قبر جدي ، وقعت بين ذراعي امي .. حاولت ان اتحسسها فأفلتت مني ...

نهضت خالتي فتحية واقفة ... ابتعدت بفتحي عن حلقة الرجال والنساء .. انحشرت في الزحام وعيني لا تفارق فتحي .. حين طفقت ابحث عن امي ، لمحتها تقف على حافة الحفرة التي غاب داخلها جسد جدي ، تفتسل بدموعها .. لوحت لها ، وصرخت فيها ، فلم تلتفت الي ، وانحدرت نازلة الى جوف الحفرة ، فرحت ابكي بشدة .

القاهرة ... اسماعيل علي اسماعيل

مكتبة الاديب

الطب والاطباء في مختلف العهود الاسلامية

تأليف الدكتور محمود دياب ـ ٤١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

هذا كتاب من أحوج ما تحتاج اليه امتنا في هذه المرحلة من تاريخها ، فهو من ذلك النوع الذي تطلق عليه اسم « مقدمات المناهج » واعظم ما يهدى اليه هو ان يكشف امام شبابنا ذلك الدور الضخم ، والجهد الكبير ، الذي قام به العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية الانسانية ، في مجال الطب والجراحة هذا الدور الذي شهد به المؤرخون الاوربيون المنصفون فاعترفوا بان العرب والمسلمين ابان نهضتهم قد دفعوا هذه العلوم دفعة قوية الى الامام حتى ليمكن القول بان جهدهم كان وما يزال اساس كل ما وصل اليه العلم الحديث من تقدم في مجال الجراحة والتطبيب . وشبابنا شهد الله لا يدرسون ذلك في المعاهد والجامعات ، وربما حملهم دراسة ما حققته الحضارة الغربية وحدها الى نسيان الدور الكبير والضخم الذي وسد به العرب والمسلمون هذه الجهود على أيدي الرازي وابن سينا والزهراوي والبغدادي وابن نفيس وابن بطلان على نحو يكشف عن اهمية الاضافات الجبارة التي قدمها اطباء العرب والاسلام .

ولقد شاء الدكتور « محمود دياب » ان يحيط بهذه النهضة كلها وان يرسم صورة كاملة لهذه الحركة في مختلف العصور ، فبدأ بالطب قبل الاسلام وكشف عن دور الشرق ومصر في تغذية الطب الاغريقي ، وسجل ذلك السبق الواضح في دراسات الطب المصرية الشرقية التي انتفع بها ابقراط وجالينوس .

ثم عرض للاسلام والطب والقرآن والطب ثم مضى في فصول متسقة مستفيضة يسلم بعضها الى بعض ليسجل خطوات تلك النهضة الطبية العربية الاسلامية في عصور الامويين والعباسيين والاندلسيين، حتى في العصور التي اطلق عليها ظلما عصور التخلف فقد اكتشف الدكتور دياب عددا من الاطباء النوابغ مما يؤكد ان هذه العصور كانت عصور اضافة ونبوغ .

فلما وصل الى العصر الحديث أرخ لاطباء مصر المعروفين البارزين، وقد اقتضى في التقسيم ذلك النمط الذي احببناه بأن اطلق (عصر اليقظة) على فترة القرن التاسع عشر و (عصر النهضة) على فترة العقود الاولى من القرن العشرين وقد ضمت هذه الباقة الزاهرة من اطباء الاسلام والعرب مختلف الاسماء المعروفة والمشهورة والتي تدور على الالسنة وتتصل بالابحاث العلمية والتاريخية فلم يفلت منه احد .

وكان له عون اكبر العون (كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة) ومعجم الاطباء للدكتور احمد عيسى ، اما في المراحل الاخيرة وفيما يتصل بالاطباء القريبي العهد بنا : امثال علي ابراهيم وسليمان عزمي وعبد العزيز اسماعيل ومحمد خليل عبد الخالق وانور المفتي فقد اعتمد على المصادر الحية من اهل هؤلاء النوابغ وقد كان الدكتور دياب معاصرا لهم ومتصلا باكثرهم .

ولم يؤلف في العصر الحديث في مجال دراسات الطب وتراجم اعلامه غير مؤلفات قليلة من ابرزها موسوعة الدكتور شوكت موفق الشطي التي تفضل باهدائها الى اخي العلامة محمد عبد الغني حسن في اربعة اجزاء ، وهي تشير الى مجهود المؤلف الطبيب في دراسات واسعة جرى فيها جزاه الله خيرا على ابراز دور الاسلام في دراسات الطب ، غير ان منهج الدكتور محمود دياب يختلف عنها في اساس الفكرة التي صدر عنها مؤلف (الطب والاطباء في مختلف العهود الاسلامية) فقد اراد ان يجمع في باقة واحدة تضم مختلف الزهور التي قدمها الاسلام ، فعني عناية اساسية بالترجمة لهؤلاء الاعلام وارخ لهم وكان في نفسه هدف واضح هو ان يعطي شبابنا صورة كاملة لهذا العمل الحضاري الاسلامي الكبير ، مؤمنا بأن ذلك عمل نافع يمنح الشباب الثقة الاكيدة والايمان الخالص بحضارة امته وتراثها ودورها الضخم في المجال الحضاري والانساني .

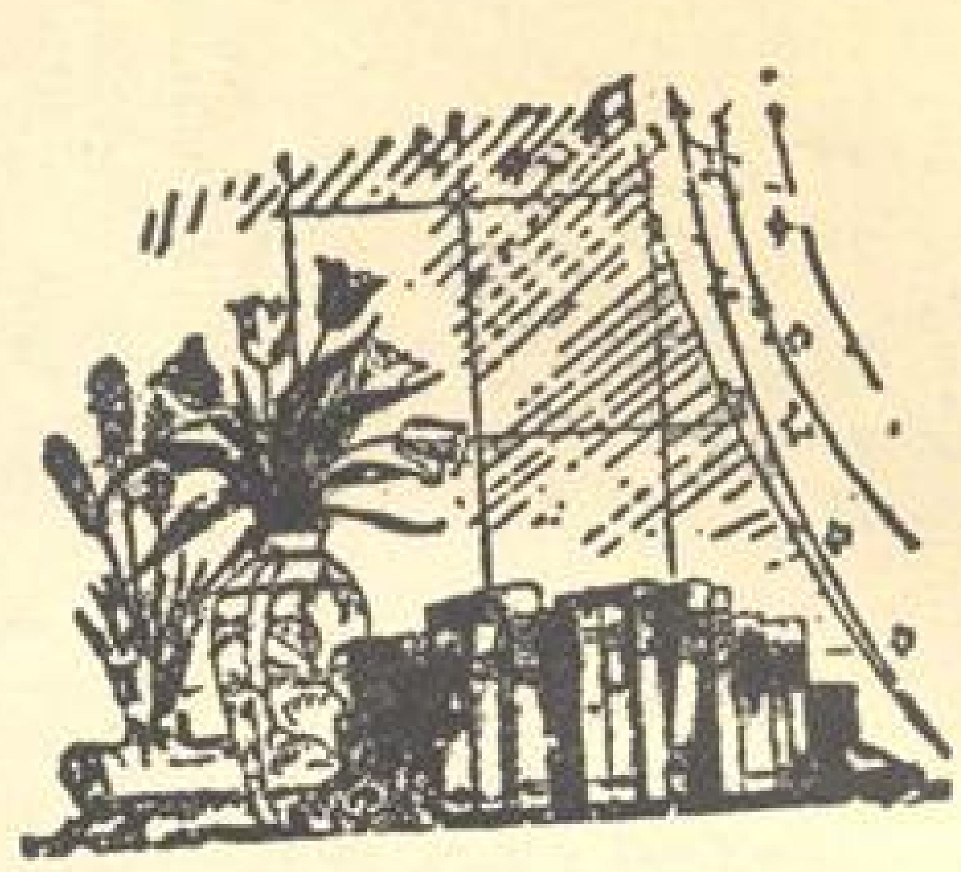
ولم يكن غريبا على الدكتور دياب ان يكتب عن الطب والاطباء فهو طبيب نابغة من نوابغ تخصص الانف والاذن والحنجرة في بلادنا وهو الى ذلك رجل مؤمن صادق الايمان بربه ودينه ، غيور على الفكر الاسلامي ، وقد وجه نفسه منذ وقت طويل لدراسة مقدرات العالم الاسلامي وقضاياه ، وازماته ، وساح سياحات طويلة في سبيل هذه الدراسات ، وجمع مكتبة ضخمة مما يتصل بقضايا العالم الاسلامي السياسية والاجتماعية وكان من اكبر اهتماماته قضية فلسطين والصهيونية العالمية وهو الى ذلك عضو بارز من اعضاء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة . ولكن الدكتور دياب قد فاجأ قراءه وعارفيه حقا بهذا البحث الضخم بعد ان اصدر في العام الماضي كتابه الاول عن (اسرائيل بين البداية والنهاية) ويمكن القول بان الدكتور دياب قد فتح له بهذا العمل باب جديد من أبواب التبريز الفكري والادبي ، وكان في خلال حياته طبيبا دؤوبا مخلصا لعمله ، محبا للناس ، عميق الايمان بالله ، حتى لقد ارتبطت عملياته الجراحية بذلك الاخلاص العجيب ، واني لاذكر كيف رأيته بعد ان اتم احدى العمليات الجراحية وقد توجه الى الله ودخل في الصلاة شاكرا ربه على أن حقق له النجاح .

وليس هذا النمط من السلوك غريبا على من يدرس حياة الدكتور دياب ونشأته في بلدته الريفية (بر العرب) من اقليم المنوفية ، في ذلك الجو العربي الاسلامي العريق ، حيث وجهه والده (الحاج دياب فريج عميد بر العرب وشيخها) الى القرآن وعلمه اصول الدين وكان والده واحدا من تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، تعلم في الازهر ثم انصرف الى الزراعة وجاد باعظم رزقه في سبيل تخريج « الطبيب » الذي سيعطي القرية ثمرة جهاده فيذهب كل يوم جمعة الى هؤلاء الكرام يعالج مريضهم ويداوي جراحهم ويجلب لهم الفيتامينات والمقويات واوجه العلاج من جيبه الخاص ويقضي معهم يوم راحته الاسبوعية كفاء ما قدموا له من جهد في اول الشباب .

ومن هنا تفيض النفس بالاعجاب والتقدير عندما نرى الدكتور محمود دياب يهدي كتابه الى والده الكريم الحاج دياب فريج (الذي علمني كيف يكون الكفاح في الحياة ، وكيف يكون الدفاع عن الحق) والى امه الراحلة الغالية التي (كانت له نعم المعين في تدبير المال ابان دراسته) .

وهكذا ينتقل الدكتور دياب من وفاء الى وفاء ، وفاء لصحبه وزملائه الاطباء العرب والمسلمين منذ بزغ نجمهم ، ووفاء لاهله وابويه ، ووفاء لاخوانه واصدقائه الذين يعالجهم في عيادته ويرفض ان يأخذ منهم شيئا .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العــادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

وهكذا ينتقل الدكتور دياب الى عمل اوسع نطاقا مــن مجــال الخدمة العامة ذلك هو مجال الثقافة العامة ، واذا كان الدكتور ديــاب قد استهل ابحاثه الثقافية ودراساته العلمية بالحديث عــن اسرائيل وعن الطب والاطباء فاننا نتوقع منه المزيد وننتظر منــه الكثير ، وان مكانه لمقدور في كلا العملين : عمله الطبي وعمله الفكري ، ولقد وجــد كتابه عن الطب والاطباء على قرب فترة صدوره صدى عميقا واثــرا واضحا في مجالات التربية والتعليم مما تقر به عين هذا الطبيب المؤمن الذي كرس كل وقته وحياته لخير الناس ولخير الانسانية .

ان حياة الدكتور دياب نفسها هي نموذج حي من نماذج الاطباء ، ولذلك فاننا نتعجل ان نقرأ قريبا (مذكراته ويومياته) التي ستضيف الكثير الى ما كتبه الدكتــور نجيب محفوظ ، والدكتــور الديراني وغيرهم من الاطباء البارزين .

القاهرة — انور الجندي

●

أزهـــــار

شعر منير سليمان ـ ١٥٦ صفحـــة ـ منشورات دار مجلة الثقافة فــي دمشــق

أهدى الي الشاعر اللاذقي منير سليمان ديوانه الاول « أزهار » ، وهو ديوان صغير الحجم ، ضم بين دفتيه ٤٥٨ بيتا ، وزعت علــى ١٥٦ صفحة ، بحيث نال بعضها بيت واحد ، ولم يتجاوز أقصى ما نالتــه صفحة فيه اربعة ابيات ، اذا استثنينا المقدمة التــي فازت الصفحة فيها بثمانية أسطر ، والتي كتبها الاستاذ علي حرفوش ، دون ان يبالغ في اطراء الشاعر ، كما يبالغ معظم الذين يكتبون مقدمات الكتب .

وأنا ارغب في ان يكتب الاديب ـ شاعرا كان او ناثرا ـ مقدمــة كتابه بنفسه ، لانه ادرى بحالته النفسية حين نظم كل قصيدة مــن قصائده ، او كتب كل فصل من كتابه ، ولانه ادرى بالوقت الطويــل الذي سلخه في سبك عبارته ، ورصف كلماتهــا ، وايقاعها ، ولان كاتب المقدمة لا بد ان يكون من اصدقاء الشاعر ، فيضطر الى ان يغض الطرف عن جل الهنات ، ان كــان شجاعا ، وعنهـا جميعها ان كــان خجولا ، او ممن يدارون الشعراء ، ويضعــون نصب أعينهم قــول الشاعر :

وعداوة الشعراء بئس المقتنى .

ما من شاعر في الدنيا ليس لــه حسنات وسيئات ، واعظــم الشعراء هو اقلهم هفوات ، واكثرهــم وثبــات ، واسماهم خيالا ، واقواهم ديباجة . وما على الناقد الا ان يقيم مأدبة للقراء على مائــدة الحق والانصاف ، يعرض عليها أولا ما يؤاخذ عليــه الشاعــر ، ثــم يؤتى بما يشكر عليه ، ويستحسن منه .

ومن حسن حظ الشاعر ان مآخذي عليــه قليلــة ، سأحاسبه عليها حسابا يسيرا :

أعتقد ان الشاعر تسرع في نشر ديوانه الاول ، لانه لا يزال فــي صدر شبابه ، ولم تتح له فرصة طويلة لاعادة النظر فــي قصائــده وتنقيحها ، فشوقي ، مثلا ، نشر ديوانه الاول وهو في العقد الرابــع من عمره . ثم ضرب صفحا عن كثير من قصائده ، وطبع الجــزء الاول من الشوقيات عام ١٩٢٥ م . وهو في السابعة والخمسين من عمره . وبشارة الخوري (الاخطل الصغير) نشر ديوانــه الاول (الهــوى والشباب) ، وهو في العقد السابع مــن عمره المديد . وهــذان الشاعران هما قمتان شامختان من قمم الشعر العربي الحديث .

ان الشاعر يجب أن يكون كالنحات الذي ينظر الى نحته الذي ينحته ، من جميع الجهات ، لكي يضمن لـه الجودة التي ينشدها ، فان لم يفعل ضاعت اتعابه سدى ، وضاع في تيه النسيان .

انني أنصح منير سليمان ، الذي فطر على الشعر ، ان يعيد النظر في ديوانه هذا ، قبل أن يطبعه مرة ثانية ، وان يحذف منه الابيات التي عنوانها « تعليق » ، والقصيدة التي ختم بها الديوان ، وعنوانها « كذوب » .

حبذا لو لم يلجأ الشاعر الى قصر الممدود ، كقوله : واللقا ، بدلا من اللقاء ، ولو شاء اجتناب هذه الضرورة لقال : اللقى (بضم اللام الثانية) ، وكقوله : كبرياه بدلا من كبريائه . وقال :

لا ، لن يكون ، وفي آجامنا بطل يرضي الاباء ، واخت تفتدي وصبي

ولو قال : (وبنت) بدلا من (واخت) ليتم الطباق ، لكان أبلغ .

يضع شدة على اللام الثانية في الكلمات المعرفة مثل : اللهب واللحون ، والصواب أن نضع سكونا على لام التعريف الاولى ، وفتحة على اللام الثانية ، لان الشدة تدل على وجود حرفين ، أولهما ساكن وثانيهما متحرك ، فاذا سبقت بلام التعريف ، ووضعت الشدة على اللام الثانية ، دل هذا على ان هنالك ثلاث (لامات) ، مع ان هنالك لامين . وهذا خطأ شائع قلما فطن له ادباؤنا .

وقال الشاعر في احدى المعجبات به :

وان تجهمت ، فالانظار خاشعة وان تبسمت ، فالانظار تأتلق

فالمرأة ليس له سوى نظر واحد ، ولو قال : (فالاجفان) لظل الوزن قائما . وقال :

ألفيتها حرباء تلفظها النفوس بلا جدال

وكلمة (حرباء) مذكرة وليست مؤنثة وقال :

ينشد الصورة البعيدة سيان اجلى ، أم استحال النشيد

فنون (سيان) مكسورة لا مفتوحة ، لانها مثنى (سي) ومعنى سي : المثل .

لا يذكر التاريخ الذي نظم فيه كل قصيدة من قصائده ، ليتيح للناقد الدقة التامة في نقده ، ويعرف — مثلا — موعد نظم قصيدته (العاشق الذليل) ، التي وصف بها كيف اختلس قبلة من حسناء ، وعب رضابها ، وهل كان ذلك قبل أن يتزوج ، ويرزقه الله اربعة أولاد ، أم بعد ذلك ؟ وليعرف ايضا كيف يكون رفيقا بـه حين ينقد اقدم قصائده ، وقليل الرفق حين ينقد احدثها .

في ديوان شاعرنا غزل كثير رقيق ، لا الومه عليه ، رغم اننا في اشد عصور الامة العربية هولا ، واكثرها نضالا ، لان الشاعر شاب ، وعهد الشباب لا يستطيع الشاعر الحساس فيه ان يكبت عواطفه ، ويصد تيارها الذي يجرف قلبه . فارجو ان ترجح في ديوانه الثاني كفة الشعر القومي كفة الشعر الغزلي ، لاننا في حاجة الى احياء شعر البطولة والقوة والمجد بشعر كشعر عنترة والمتنبي ، لا شعر كشعر عمر بن ابي ربيعة وبشار بن برد .

يستعمل الشاعر كلمات عفى عليها الزمن ، وقبعت في زوايا مظلمة من المعاجم ، فاخرجها منير سليمان الينا شاحبة الوجه ، واهنة القوى ، مفككة الاوصال ، كاستعماله كلمة تتفل (بكسر فسكون ففتح) للثعلب ، وأنا لا اعرف شاعرا جاهليا واحدا استعملها . ولو فرضنا ان هنالك شاعرا واحدا قد استعملها ، فانني لا أنصح باستعمالها أبدا ، وانصح صاحب الديوان ان يحذف هذا البيت في الطبعة الثانية ، والبيت الذي يستعمل فيه كلمة هرطة (بكسر فسكون) للفتاة الهزيلة ، وحذف البيت الذي يليه لانه يثير الاشمئزاز .

اما حسنات الديوان فكثيرة ، أهمها :

شرحه الكلمات التي يجهل معانيها بعض القراء شرحا وافيا .

وضوح الفكرة عنده وضوحا تاما ، مع قدرة على صبها في كلمات مختارة ، تجعل ثوب اللفظ على قدر جسم المعنى ، كقوله :

ثارات يعرب ما زالت على هدبي حق السليب دم في ذمة العرب
سلخت من عمري الاعوام ارقبها وما نزال نعاني شر منقلب
أيستبيح حمى قومي صهاينة هاموا على وجههم في كل مضطرب

ويختم قصيدته :

سنلهب الارض، او تخضل وحدتنا وتبرأ الدار من غاز ومستلب
نحن الاباة ، وقد جاشت كتائبنا فزغردي يا ضحايا الثار، وانتصبي

مقته الشعر الحر الحديث ، ونظمه قصائده كلها موزونة مقفاة ، لقوته في اللغة العربية ، وغنى ذاكرته بالمفردات .

موهبته الشعرية أصيلة ، وقد بدأ بنظم الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره .

في كثير من قصائده الغزلية عفة ، واعتزاز بالاخلاق الفاضلة (راجع قصيدتيه : الحسناء السجين وطائشة) ، رغم انه يتجنى أحيانا على حواء .

ولا بد لي في الختام من شكر الشاعر منير سليمان على هديته النفيسة ، متمنيا له الوصول الى قمة الاجادة في دواوينه المقبلة ، وداعيا القراء الى ورود مناهل هذا الشاعر المطبوع ، الذي يزخر شعره بالحياة والعاطفة والحركة ، ويعكس حقيقة شخصيته على مرآة نفسه الصافية ، ورحم الله من قال :

واذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

صيدا — لبنان **محمد العدناني**

•

البراهين الحسية على تقارض اللغتين السريانية والعربية

تأليف البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق عضو مجمع اللغة العربية بدمشق — ١٢٨ صفحة — حجم كبير — مطابع الكريم الحديثة بجونية لبنان

بين يدي الان مؤلف قيم يقع في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، تأليف العلامة مار اغناطيوس يعقوب الثالث ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

والكتاب قيم . بل هو الدرة المعاصرة في صف المكتبة اللغوية ، واول كتاب في العربية ، يبحث عن الجـذر ، والتغيير ، والقلب ، والتحوير ، وحركاتها بل هو كتاب نادر ، يروي المطالع ، واي ارواء ! وفي نظري ، لـو كان العمق ، في المعرفة الحقة في لغة السريان ولهجاتها الكلاسيكية والشعبية ، لما ورط الكثيرين في تأويل الكلمات العربية وردها الى منابع بعيدة عن ينابيعها او ينابيع شقيقاتها ، اذ رأيت ان بعضهم اعادها الى مصادر اجنبية . وهذه تأويلات فقط بينما هذه « التاويلات » هي عبارة عن تعبير ممل ، ولا يروى ، بل ولا ينفع ، بينما الكلمة المتغيرة ، تجد لها هنا (جذرا) واصلا ، وفروعا ، ومناخا لغويا خاصا بها .

الكتاب ، مصدر بمقدمة ، هائلة ، شاملة ، ومركزة . وفيها بحث مدعوم ببراهين لغوية وتاريخية عن الحلاوة في عالم اللغتين السريانية والعربية . ودوحتيهما هي السامية الكبرى ، ولم تكن (في نظر المؤلف) اللغتين في معزل عن بعضهما بل تصل الواحدة في الاخرى ، وهكذا دواليك واليك نماذج من اسلوبه ومدى عمق آرائه قال حفظه الله .

« ان اللغة السريانية الارامية تنسب الى آرام ـ اي بمد الهمزة والراء على الاطلاق ـ كما ترد في الكتاب العزيز ، لا الى أرم ، كما ارتأى الاب انسطاس الكرملي ، او راما اي العالي السريانية ، كما ذهب بعض ذوي الاجتهاد . وآرام هو الابن الخامس لسام بن نوح كما ذكر سفر التكوين (١٠ : ٢٢) من هنا كانت اللغة السريانية الارامية ، اكبر منا من شقيقتها العربية ، التي تنسب الى اللفظة السريانية عاروبو (عربا) اي الصحراء . لا الى لفظة عرب (بسكون حرف العين وفتح الراء وسكون الباء) اي عرب السريانية ايضا ، كما ذهب بعض الباحثين .

بيد ان اللغة العربية ، اقرب من اللغة السريانية الحالية ، الى اللغة الام ، واكثر منها شبها بها ، اذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الاصلية المتحدرة اليها منها ، والسبب في ذلك ، كما قرره الباحثون يعود الى ان العربية عقب انفصالها عن الام . وانزوت دهرا طويلا في بقعة نائية عن العالم المعروف يومذاك ، مما ساعدها على التشبث بالاصول القديمة ، حتى ، اذ حان ، وقت انتشارها العظيم ، مع الفتوحات الاسلامية ، في القرن السابع للميلاد ، استطاعت ان تحفظ ، بتلك العناصر الاصلية . اما السريانية الآرامية، فقد تأثرت فور تفرعها عن دوحتها ، بالسنة شتى العناصر التي اصطدمت بها في طريق انتشارها الهائل ، فبعد ان كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، لغة قبائل رحل ، تتنقل في الصحراء ، الواقعة غربي الفرات ، كقول المستشرق الفرنسي جان شابو ، اذ بها تضحى اللغة الرسمية لشعوب الشرق الاوسط قاطبة ، من فارس شرقا ، الى سورية غربا ، من اشور شمالا الى فلسطين ومصر جنوبا ، من هنا تطورها ، بل تباعدها من امها السامية الاصلية ، هذا مع العلم ان ما ورد منها في التوراة ، وفي حكم احيقار وزير سنحاريب ملك آشور (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م) يطابق كل المطابقة لحالتها اليوم » .

بهذا الاسلوب الرصين ، ينم عمق البحث ، ومدى سمو آفاقه الرحبة ، وابعاد الخبرة التاريخية واللغوية عند المؤلف الجليل ، فينشر كلمة تقريض على العربية اذ جاءت في اعقاب انهيارات متلاحقة دبت في جسد اللغة السريانية ، ويوم اوشكت ان تحمل في عروقها كمية من دم هجين ، غزتها العربية ، كضيفة ، وشقيقة ، ومتممة ، ولكن بذات العبير الذي انطلقت منه السريانية ، وافاضته فوق رياض العقل ، فالعربية في نظر المؤلف ، ما هي الا متممة لمجد أفل ، ونجم هوى ، وعز قبع في صمت وعلى جبين جدتها الحي دماء الشهادة الخالدة .

والبحث الذي طرقه العلامة البطريرك ، لم يطرقه مؤلف آخر ، وبذلك كشط عن وجه العربية ، مئات من الكلمات ، واعطانا المفتاح الذي كان مفقودا به نستطيع ان نفتح عدة الغاز اشكلت على رجال البحث واقطابهم ، ولم يتطرق الى هذا البحث غيره ، فهناك حسب اطلاعنا بحثان عميقان ، اولهما للبطريرك افرام برصوم مقالات نشرته مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ، صدره بكتاب دعاه الكلمات السريانية في المعاجم العربية ، اشار الى جذرها فقط ، وعرفها من قرائنها ، وثانيهما للاب مرمرجي ، اعاد الجذر الى فلسفة حديثة في عالم اللغة المعاصرة اذ قال اصل الثلاثي ـ ثنائي . وخبط في الموضوع خبط عشواء . وبهدوء تام دخل العلامة البطريرك يعقوب الثالث مجالات لها آفاق خضراء . فبان لنا مجد السريانية في مهرجان العربية وبالعكس ، وهكذا دواليك ، وفي حوار لغوي مثل هذا الحوار ، وبحث شامل مثل هذه البحوث ، ما هي الا طاقات نظيفة ، نقية ، ومفيدة ، والان نرى ان هناك في بحث المؤلف عدة استنباطات جديدة ، يقدر عليها المؤلف ويشكر ، ويثنى على براعته ، وفكره الحاذق ، وسمو آرائه .

اولا الالفاظ السريانية التي دخلت العربية عن طريق حرفي الـ ب والـ ف مثالا على طريقة البحث قال أزاربا الارزية والمرزية (عصبة من حديد) .

ويضع حاشية جد مهمة لغويا اذ قال حفظه الله بالحرف الواحد « لقد دخلت الالفاظ الاعجمية اللغة العربية عن طريق السريانية » .

بقي ، ان لا يغيب عن بالنا ، ان للسريانية لهجتان غربية وشرقية، ويرى قداسته في اللهجة الشرقية ، اكثر رسوخا ، واللفظة عندها (في اللهجة الشرقية) اكثر محافظة على الاصل ، ويرى في الغربية تطرفا ، وسقوطا للاحرف ، واهمالا .

لهذا ، نراه في الفصل الذي اعده عن حرف الغين ، يطرقه من عدة وجوه بحثا ، ومناقشة ، وادلاء . فيقول « بيد ان حرف «الغين» هو همزة غالبا في اللهجة العامية الشرقية . فيقول مثلا : « آرناءا بدلا ارناغا الجرذ « زاءا » بدلا من زاغا الزاع (الفرخ ، الفروج الصغير) .

وعندما يتوقف في نهاية الفصل الثامن نراه يفتح فصلا اخر في شوارد الكلمات لا تقع تحت القاعدة السابقة اذ قال « لقد عثرنا على كثير من الالفاظ المتشابهة في السريانية والعربية معنى ولفظا ، بالنسبة الى الحروف اللينة الاخرى ، مع العلم ان بعضها لا يتمشى بحسب القاعدة المعروفة ، منها الالفاظ التالية : (اذنا) الاذن » .

ومنذ الفصل السابع حتى السادس والعشرين ، نرى بحوثا عميقة في اقتراحات عربية سريانية ، وبالعكس ، وفيها اشتباكات غريبة ، مستعصية كان فارسها ، وعملاقها ، مؤلفنا الكبير ، اذ تحدث عن الالفاظ المتشابهة في السريانية والعربية ص ٢١ و٢٢ و٢٣ ، بينما في الفصل العاشر تحدث عن الالفاظ التي دخلت العربية عن الحرف الكامل الذي انقلب فيها الى الكاف او القاف (ص ٢٤ و٢٥) بينما في الفصل الحادي عشر (الالفاظ التي دخلت العربية بالنون عن طريق الشدة الشرقية) (ص ٢٥ و٢٦) في الفصل (١٨) بحث لعله من أدسم الفصول ، عن مشكلة الحروف الاسلية والنطقية والحلقية (ص ٢٧ و٢٨ و٢٩) قال حفظه الله : « الحروف الاسلية في العربية هي : الزاي ، السين ، والصاد . اما في السريانية ، فتضاف اليها الشين ايضا ، والحروف النطقية في العربية ، هي : التاء ، الدال والطاء . اما في السريانية ، فتضاف اليها اللام ، والنون ايضا ، والحروف الحلقية في العربية هي : الهمزة ، الحاء ، الخاء ، العين ، الغين ، القاف ، والهاء ، اما في السريانية فهي : الهمزة ، الهاء ، الحاء ، العين ، والراء ، وهناك مشكلة في هذه الحروف ، اذ اختلف لفظ كثير منها في اللغتين اختلاف لهجات الشعوب الناطقة ، بهما بحيث اضحت الراي في اللغة الواحدة ، سينا او شينا ، او صادا في اللغة الاخرى ، وبالعكس والتاء ، دالا ، او طاء وبالعكس ، والحاء ، والعين احيانا هاء او همزة ، او ذاتيا كليا وهناك الفاظ اخرى متشابهة ، جاءت ذالها السريانية زايا في العربية ، وتاؤها سينا وبالعكس ، ولا بدع فان في اللغة الواحدة الفاظا من هذا القبيل ، جاءت بمعنى واحد .

وفي الفصل (١٣) يتطرق الى تغييرات في حرف الحاء والعين (ص ٣٠ و٣١) وفي فصل (٤ ح ١) تحدث عن الفاظ تخللتها الحروف الاسلية ، والنطقية ، والحلقية (ص ٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥) .

وفي فصل (١٥) بحث في الالفاظ التي اختلف تركيبها في العربية (ص ٣٦ و٣٧) وفي فصل (١٦) الالفاظ التي جاءت شينها سينا في العربية (ص ٣٨ و٣٩ ـ ٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤) وفصل (١٧) الالفاظ التي جاءت سينها شينا في العربية (ص ٤٤ و٤٥) وفي الفصل (١٩) تحدث عن الالفاظ التي جاءت طاؤها ظاء او ضادا في العربية . (ص ٤٧) بينما في الفصل (٢٠) تحدث عن الالفاظ التي تبدلت كافها قافا وبالعكس في العربية بينما تحدث في الفصل (٢١) عن الالفاظ التي جاءت حاؤها خاء في العربية (ص ٤٩ و٥٠ و٥١) .

في الفصل (٢٢) بحث في الالفاظ التي جاءت عينها غينا في العربية ص ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ وعقد في فصل (٢٣) بحثنا عن الالفاظ التي جاءت عينها ضادا في العربية .

ص ٥٤ ، ٥٥ وفصل (٢٤) تطرق الى الالفاظ التي جاءت جيمها (الجيم المصرية) جيما في العربية ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، اما في الفصل (٢٥) فقد تحدث عن الالفاظ المحرفة ص ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و٦٢ و ٦٣ .

لقد قدمه بدراسة مفصلة عن تسعة مواضيع جد شيقة واليك ما قاله في مقدمة هذا الفصل .

« اننا عند دراستنا لهاتين اللغتين العريقتين ، عثرنا على مئات من الالفاظ التي مسخها التحريف ، سواء اكان ذلك بأيدي النساخ ام بلسان الشعوب المختلفة بهما » .

اما الفصل (٢٦) فقد قدمه بمقدمة ضافية عن الالفاظ السريانية في اللهجات العربية العامية ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ .

ثم يترك لنا جدولا (بالالفاظ المتشابهة في اللغتين السريانية والعربية ، تبتديء من ص ٧٢ حتى ص ١٢٢) وهو جدول غني ببياناته ، ومدلولاته ، وافكاره وبالذات ركز على هذه الناحية ، وهي « ابتكاراته » التي طرقها للمرة الاولى في عالم اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية .

ان الايادي التي تكتب لنا ، في المعرفة ، آياد مخلدة ، تستحق الطوبى ، والاحترام الكلي .

وعلامتنا يملك يراعة خضراء ، تنساب من شفرتيها موهبة اصيلة، جذلى في نقل الحرف الى القراء ، بصدق ورؤية .

بين يديك يا سيدي ، تبدو « الدواة » لغة مصهورة في بحيرة حبرك . تنقل لنا الروائع وتنمق بحبر المعرفة عندئذ نتحقق ، ونحس ، ونشعر ، انك تتم لنا ارادة غبطة اللفظة المختارة .

هذا المؤلف القيم ، فاتحة جديدة في عوالم السامية والبطريرك البحاثة ، ارسى اكثر من قاعدة علمية ، تفتح في دنيا اللغات الشرقية، اشراقات باهرة ، جد صادقة . تحية اجلال للمؤلف الجهبذ .

الاب يوسف سعيد

•

اتجاهات الشعر الحر

تاليف حسن توفيق ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ـ سلسلة المكتبة الثقافية

ما زال الشعر الحر يفتقر الى تشريع ادبي يحدد اسمه وقواعده ،

ويضع اللمسات التي توضح معالمه وتبرز ملامحه . وتلك هي القضية التي فجرت كثيرا من المعارك الادبية والفكرية ، وساهمت في ارتفاع درجة الحرارة في عالم الادب الى فترة طويلة شعر فيها معظم الادباء بالاختناق وصعوبة التنفس ، وقد نتج عن هذا الجو الملتهب كثير من السنة النار وسحاب الدخان جعلت من المسالة امرا حضاريا بالدرجة الاولى وادبيا بالدرجة الثانية ، لان اهتزاز عمود الشعرو كان له دوي هز كثيرا من الاركان الفكرية والحضارية في المجتمع العربي القائم . وقد تضاربت الآراء والاقاويل من حول هذا الشعر الحر ، وتداخلت عدة نظريات ومخططات في الساحة ، اختلفت في الوسيلة والغاية وامتلات بشتى الارادات وكثير من الهوى !

ومنذ اعوام اصدرت « نازك الملائكة » بصفتها واحدة من زعماء الشعر الحر في العالم الادبي كتابها « قضايا الشعر المعاصر » تعرض فيه لمسالة التجديد الشعري وتحاول ان تقنن مسار الشعر الحر كما تخيلته في ذهنها بصفتها شاعرة عالجت الشكل المتوارث وتحاول ان تتجاوزه وتتخطاه . ولكن هذا الكتاب بما وضعه من قيود ، ثبت انها اصعب من قيود الخليل بن احمد ، ولاسباب اخرى لدى البعض : لم يعجب القائمين على امر هذا الشعر من النقاد والشعراء .. ومن ثم لم يعترفوا به ولم يلقوا اليه بالا في معالجتهم للقريض . وقد تعددت المقالات التي ترسم من وجهة نظر ذاتية وتصور خاص واقع هذا الشعر ومستقبله . الا انها لم تعط منهجا عاما ومتبلورا يضع حدا لهذا الشعر الجديد ، والذي لم يتفق على هويته بعد .

ويجيء كتاب الشاعر « حسن توفيق » ـ « اتجاهات الشعر الحر » ليطرح من جديد قضية الشعر الحر من وجهة نظر ذاتية ايضا .. الا انها تلقي ظلالا تفيد الدراسة الادبية حول هذا الشعر ، وتقرب الى حد ما الصورة التي هو عليها الآن .

وينقسم الكتاب الى خمس موضوعات : الاول وهو المقدمة عن الشاعر والواقع ، والثاني يتناول الشعر الحر ـ نشاته وخصائصه ، والثالث يقسم الاجيال الشاعرة الى ثلاثة اجيال على الدرب وفي الموضوع الرابع يتناول الاطر الثقافية والاجتماعية لشعرائنا ثم ياتي الموضوع الاخير عن احزان شعرائنا !

وفي الحقيقة فان مناقشة القضايا التي اشتمل عليها الكتاب تحتاج الى كتاب آخر ضعفه في عدد الصفحات .. بيد اننا نمر مرورا سريعا وموجزا على ابرز هذه القضايا .

١ ـ في قضية الشاعر والواقع يطرح الشاعر حسن توفيق مسالة الشعراء المتخاذلين امام الواقع والشعراء الايجابيين الذين يواجهونه مواجهة المتجاوزين له . ويمثل للنوع الاول بالشاعر الانكليزي (ت. س. اليوت) الذي افزعته المدنية الحديثة فراح يصور مآسيها وفسادها ولاذ بالدين ويضرب المؤلف على شعراء النوع الثاني مثلا بالشاعر الالماني (برتولت بريخت) الذي يدعو الى عدم الاستسلام ، ومجابهة المدنية الحديثة انطلاقا من ايديولوجية معينة . ويؤكد المؤلف على ايجابية الشاعر بما يتخذه من ايديولوجية معينة فهذا التبني لايديولوجية معينة ايا كانت نوعيتها تعين الشاعر بلا شك في استنباط الحلول التي يرتضيها للمشكلات المختلفة التي يواجهها فضلا عن ان هذا التبني تعميق رؤيته للواقع (ص ١٠ من الكتاب) . ونحن نتفق مع المؤلف في انه لا بد من تجاوز الواقع واستشراف المستقبل والايجابية بيد ان ما اورد من امثلة لتأييد رايه هذا يحتاج الى نظر . وفي اعتقادنا ان ت. س. اليوت مثل برتولت بريخت تماما مع اختلاف الرؤية .. فمن ناحية ايمان كل منهما بايديولوجية معينة واتخاذ موقف ايجابي ومحدد نرى الشاعر الانكليزي ت. س. اليوت يؤمن بالحلول السلمية عن طريق القيم والمثل العليا النابعة من الدين .. وبريخت يدعو الى الثورة العملية . ومن ناحية اخرى لا نرى ان احدهما يستحق وصف السلبية او الانهزامية .. فقد عبرا عن الواقع ، واختلفا في الوسيلة التي تغير هذا الواقع المر . كالفرق تماما في مجالات السياسة وحروب التحرير : غاندي وديجول . مثلا.

لذلك فان المؤلف قد اخطاه التوفيق في التمثيل بهذين الشاعرين « اليوت وبريخت » للجانب الايجابي والفني معا . وكان من الممكن ان يختار وينتقي كثيرا من الشعراء الذين ينتظرون ما تأمرهم به الظروف فينصاعون لها في غير مقاومة .

٢ ـ في نشاة الشعر الحر يتحدث المؤلف عن رائد هذا الشعر ، ويعقد المقارنة بين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، ويجعل من الاخير رائدا . واعتقد ان هذه المسالة ليست بذات موضوع ولا تعنينا قدر ما يعنينا : ماذا حقق هذا الشعر منذ نشاته . ولو اردنا ان نتحرى حقيقة من هو رائد هذا اللون الادبي فاننا سوف نجد شعراء آخرين قد يكون لهم فضل الريادة في هذا الميدان واذكر الشاعر عبده بدوي الذي مارس شعر التفعيلة وتحدث عنه على صفحات جريدة « المصري » في اواخر الاربعينيات (راجع مقدمة « كلمات غضبى » لعبده بدوي) .

ويعطي المؤلف خصائص ذاتية ـ نسبة الى ذات المؤلف ـ لحركة الشعر الحر ، ومن خلال هذه الخصائص نشعر برفض المؤلف لما يسمى بالشعر المنثور او قصيدة النثر ، او الشعر بالنثر .. ويرجع المؤلف كثيرا من التنافر بين التشكيلات الاخيرة في سطور الشعر الحر الى تمكن التراث من نفوس شعرائنا ووقوعهم في قبضته الهائلة (ص ٤٤) . وانا اشعر بسذاجة هذا التعليل ، واحس بالتحامل الشديد على تراثنا المظلوم . واسأل : ما دخل التراث في نضوب عبقرية شاعر استعصى عليه النظم الجيد او الاسلوب السلس او القافية السهلة ؟ مجرد سؤال !

ومن خلال تتبع الشاعر المؤلف لحركة الشعر الحر يحمل حملة عنيفة لا مبرر لها على الشاعرة نازك الملائكة ولست ادري سر هذه الحملة ! وقد يكون ذلك راجعا الى تخليها عن الشعر الحر او عودتها الى ممارسة القريض على النهج العمودي المقفى ـ ولان التراجع

يشكل حركة جزر فان ذلك يسوء القائمين على الحركة التجديدية للشعر العربي . وكان احساسي من خلال القراءة لما قاله المؤلف عن نازك الملائكة .. ان ما قاله لا ينتمي الى دائرة النقد الفني الذي يميز ويقارن ويقوم . ومن ثم فان ما جاء به عنها كان هشا وسطحيا ولا يعطي الحقيقة التي تقول : بان نازك ما زالت من الاوراق الخضراء النضرة في شجرة الشعر العربي المعاصر سواء قالته عموديا او مرسلا !

٣ ـ ويتناول الشاعر قضية الاغراب والغموض لدى الشعراء الجدد ، وتلك حسنة من حسنات كتابه ، كما يقارن بين الشاعر محمود حسن اسماعيل والشاعر أمل دنقل ـ وبالرغم من حبي لمحمود حسن اسماعيل وتعلقي به منذ مطلع الصبا فان واقعه الراهن يشعر بالاسف ، وكنت اتمنى له ان يقف على هويته المعروفة لدى المتلقين منذ اصدر « اغانى الكوخ » و « أين المفر ؟ » وعبر فيهما بالصدق والاخلاص الفنيين عن اشجان الوطن وآماله .

اما موقف المؤلف من الشاعر صالح جودت ، فيتسم بالعصبية البالغة ، ولست ادري لذلك سببا ! وقد اختلف مع صالح جودت في طريقته لمعالجة الامور الفكرية المعاصرة الا انني لا ارفض فنه وابداعه بدون مبرر ، وعلى اسس ومقاييس غير فنية . يقول «حسن توفيق» : « ولعل في تبيان هذه الاطر ردا غير مباشر على الشعراء الذين لفظت الحياة الادبية الجديدة نتاجهم . ومنهم بالذات صالح جودت الذي اتهم الشعر الحر اتهاما مغرضا ، مؤداه ان كل الشعراء الذين يكتبون الشعر الحر شعراء شعوبيون .. شيوعيون » ص ٧٥ .

والواقع ان صالح جودت له مميزاته وله دوره في عالم التركيبة الشعرية المعاصرة ، وبالمقاييس الفنية لا نستطيع ان نرفضه ، فما زال حتى اليوم يعبر تعبيرا جيدا بالشعر العمودي المقفى ، وهو الصوت الذي يدلل باستمرار على كفاءة الشعر العمودي لاستيعاب كافة التجارب الانسانية بالعبقرية والقدرة على الابداع والموهبة الحقيقية . اما راي صالح جودت في الشعراء الذين يكتبون شعرا حرا فيمكن مناقشته على مستوى آخر تطرح فيه الحيثيات والبراهين اللازمة بحيث لا يؤثر ذلك على مقدرته كشاعر تشهد له المقاييس الفنية بذلك ، ومن هنا تتحقق المنطقية والتجرد في معالجة قضايانا الادبية .

وما ينطبق على صالح جودت ينطبق على نزار قباني ـ ايضا ـ وقد حمل عليه المؤلف حملة ضارية مشابهة .

٤ ـ في التقسيم الثقافي والاجتماعي الذي اورده المؤلف لشعرائنا الجدد جور كبير على واقع هؤلاء الشعراء ويعد تقسيمه هذا غير متكامل موضوعيا .. وهناك اربعة اطارات ثقافية وضعها المؤلف وهي : اطار الثقافة العربية الخالصة ، ثم اطار الثقافة الاجنبية ـ الفرنسية ـ بالذات ، واطار الثقافة الماركسية ، واخيرا اطار الثقافة الوجودية . ونحن لا نستطيع ان نضع شاعرا ضمن اطار ثقافي واحد بالذات ، وذلك لان جميع الشعراء قد اطلوا بعيونهم داخل هذه الاطر جميعا بقدر متفاوت ، واستطيع القول ان بعض الشعراء الذين ضمنهم بعض هذه الاطر قد اطلوا بامعان داخل اطر اخرى لم يضمنهم المؤلف اياها ، ومستوى ثقافتهم اكثر من شعراء هذه الاطارات .

وكنا نود ان يعطينا الشاعر تقسيما فنيا لا تقسيما ثقافيا لان ذلك هو الباقي والاساس وليمكن ان تقول بان هذا الشاعر او ذاك ثقافته عربية او ماركسية او وجودية .. علينا ان نتساءل اولا وقبل كل شيء : ماذا قدم الشاعر من فن يدل على مدى الثقافة وليس على نوعيتها . فهذا هو الاصح في نظرنا .

ومن خلال ايديولوجية سياسية يضع المؤلف ثلاثة اطر اجتماعية لشعرائنا .. الاطار الاول للشعراء البرجوازيين . مثل « نزار قباني » والثاني شعراء « الصفوة » امثال « صلاح عبد الصبور ، الذي كان كادحا وترقى في السلم الاجتماعي حتى وصل الى هذا الاطار المسمى « بشعراء الصفوة » (!!) ثم الاطار الثالث والاخير لشعراء البرجوازية الصغيرة الذين لم يستطيعوا لاسباب مختلفة التدرج في السلم الاجتماعي ، ويمثل بالشاعر العراقي (سعدي يوسف) .. ولست ادري هل يستقيم ذلك التقسيم مع الواقع الراهن للشعراء العرب ؟

٥ ـ اجمل الموضوعات التي تحدث عنها المؤلف ـ على ايجازها ـ هي احزان شعرائنا .. وقد جاءت جميلة لانه نسى الايديولوجية التي ينطلق منها وكذا كل فكر مسبق ، وتحدث بقلب الشاعر الفنان الذي يهمه الانسان قبل اي شيء آخر ، ولم يتحدث بلسان شاعر سياسي يرتبط بفكر ما . تحدث عن شجرة المعرفة الاصيلة وانتشار الثقافة السطحية ، وتكلم عن اخلاقيات الناس وصراعاتهم المستمرة وتاثير ذلك على الشعراء المراهقين ، واخيرا ناقش انسحاق فردية الانسان في هذا العصر .. وصلة كل ذلك بعالم الشاعر وحياته .

وبالرغم من هذه القضايا التي يختلف حولها الجدل ، ويبقى الى امد طويل فانني اود ان اسجل ان هذا الكتاب قد فتح الباب ثانية على مصراعيه للحوار ، مسجلا وجهة نظر تستحق المناقشة .

ولعل السؤال الذي يلح الآن وبصورة اكثر حدة : ما مستقبل هذا اللون من الشعر العربي ـ واعني به الشعر الحر ؟ لقد استطاع على ايدي الاصيلين ان يعطي عطاء مثمرا وخصبا في المسرح و «الاوبرا» و « القصيد السمفوني » . اما في الغنائيات فما زالت عملية الاثمار تحتاج الى انتظار . وهذا ما يجعلنا نلح دوما بذات السؤال : ما مستقبل هذا اللون من الشعر ؟

الاسكندرية — حلمي محمد القاعود